
روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
عدد خاص جدًا
سلسلة الأعداد الخاصة
الزهرة السوداء
PEPOO
Looloo
WWW.REWITY.C0M
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسريّة مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

— نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

— سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

— رمزى : طبيب بارع متخصّص فى الطب النفسى .

— محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د. نبيل فاروق

١ ـ العائد ..

أشرقت الشمس دافئة جميلة ، فى ذلك الصباح ، من شتاء القرن الحادى والعشرين ، وانتشرت أشعتها كخيوط من ذهب ، فوق رمال الصحراء ، فى أقصى الجنوب الشرقى من الجمهورية الجزائرية ، وأضاءت مرتفعات (تاسيلى) من الشرق ، لتلقى بظلّ ضخم نحو الغرب ، حيث استقرّت بعثة جيولوجية حديثة ، للتنقيب عن البترول ، واستنشق أحد رجال البعثة هواء الصباح النقى ، وهو يقول :

ـ يا له من صباح جميل !.. أراهن أننا سنعثر على أكبر مخزون بترولى فى التاريخ ، فى هذه البقعة .

ضحك زميله ، وقال :

ـ ألم تكفّ عن هذا بعد ؟.. لقد راهنت على الشىء نفسه طوال الأيام الخمسة الماضية ، ولم تربح مرة واحدة .

لوّح الأوّل بيده ، وقال :

ـ ولكن هذا أجمل صباح مررنا به .. أليس كذلك ؟

هتفت إحدى زميلاتهما فى استنكار :

ـ وما صلة الصباح الجميل بالعثور على البترول ؟

قال الأوّل فى مرح :

ـ التفاؤل : يكفى أن يتفاءل المرء ، وسيأتى الخير من كل جانب .

ضحك الثانى ، وقال :

ـ حسن أيها المتفائل .. هيّا نتناول طعامنا أوّلا ، ثم نواصل بحثنا عن البترول .

هتف الأوَّل ، وهو يهرع إلى المائدة :

ـ بالطبع .

كان الثلاثة هم مهندسي البعثة ، مما سمح لهم بالالتفاف حول مائدة واحدة ، فراحوا يتبادلون الحديث حول إمكانيات العثور على البترول ، في أثناء تناول الطعام ، وقالت المهندسة في حماس واضح :

ـ ليس لدى أدنى شك ، في عثورنا على البترول هنا .. كل خرائط الأقمار الصناعية تقول هذا .

هزّ الأوَّل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ خرائط الأقمار الصناعية ترجِّح لا تجزم .

قال الثاني معقبًا :

ـ ولكن نسبة الترجيح مرتفعة .

وقالت المهندسة مبتسمة في خبث :

ـ أضف إلى هذا عدم قدرتك على قراءة الخرائط .

هتف الأوَّل :

ـ أنا ؟!.. من قال هذا ؟.. أنا أبرع وأذكى مهندس جيولوجي ، في (الجزائر) كلها ، ولا يوجد من يفوقني مهارة ، في قراءة الخرائط .. انظرا .

وألقى الطعام فوق المائدة ، ثم مال يلتقط خريطة كبيرة ، من مادة أشبه بالبلاستيك ، فردها أمام وجهه ، وهو يقول في حماس :

ـ تعالوا نراجع معًا هذه الخريطة .. كل شيء فيها يبدو عجيبًا ، ويختلف عن المألوف ، حتى توزيع الرمال والتجاويف .

مال زميلاه برأسيهما ، يتابعان ما يقول على الخريطة ، ولكنه لزم الصمت بغتة ، وتطلع إلى الخريطة معقود الحاجبين ، قبل أن يتمتم :

ـ عجبًا !

سألته زميلته :

ـ ما العجيب ؟

لزم الصمت لحظات أخرى ، ثم أشار إلى مرتفعات (ناسيلي) ، وقال :

ـ هل تبدو لكما هذه المرتفعات طبيعية ؟

قالت زميلته في اهتمام :

ـ هل تقصد أنها تبدو مجوَّفة بعض الشيء ؟!.. هذا أمر طبيعي ، فهي تحوي كهوف (تاسيلي) الشهيرة .. ألم تقرأ عنها ؟[*]

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ومن لم يقرأ عنها ؟.. كلا .. الفراغ يبدو لي أكبر من كونه مجرّد كهوف .

ثم خفض الخريطة ، مستطردًا :

ـ إنها ليست خريطة جيِّدة ، على أية حال .

(★) كهوف (تاسيلي) : كهوف تنتشر في مرتفعات (تاسيلي) ، جنوب شرق الجمهورية الجزائرية ، كشفها الرحالة (بربنان) ، عام ١٩٣٨ م ، وعثر داخلها على نقوش ورسوم عجيبة ، لمخلوقات بشرية تطير في السماء ، وترتدي أجهزة طيران ، ولسفن فضاء ، ورجال ونساء يرتدون ثيابًا حديثة ، ويحملون المظلات ، وضفادع بشرية ، وروّاد فضاء .. ولقد التقط الرحّالة (هنري لوت) صورًا فوتوجرافية لكل هذه الرسوم ، في حملته عام ١٩٥٦ م ، وقدّر الخبراء عمر الرسوم والنقوش بسبعة عشر ألفًا من السنين ، مما فجّر علامات دهشة واستفهام لا حصر لها ، وصنع ما يعرف باسم (لغز كهوف تاسيلي) .

قالها وخفض الخريطة ..

وكانت المفاجأة ..

لقد اتسعت عيناه فى دهشة ، وتراجع زميله بحركة حادة ، فى حين أطلقت زميلته شهقة قوية عنيفة ، وانتفض جسدها كله ، وهى تهتف :

ـ ما هذا ؟

لقد انخفضت الخريطة لتكشف رجلاً نحيلاً ، شاحب الوجه ، مطلق اللحية والشارب ، رث الثياب ، ظهر فجأة من خلف كتلة صخرية قريبة ، واتجه نحوهم ..

وتجمد الجميع من فرط الدهشة ..

المهندسون الثلاثة ، وكل طاقم العمال ..

وفى بطء ، وبخطوات تجر نفسها على الرمال جرًّا ، اتجه ذلك الرجل نحو البعثة ، وبدت عيناه زائغتين ، وهو يمد يده إلى الأمام ، هاتفًا بصوت مختنق :

ـ النجدة .. الغوث .

مضت لحظة من الصمت ، حدق خلالها الجميع فى الرجل ، قبل أن تهتف المهندسة :

ـ أنقذوه .. أنقذوا هذا المسكين .

حطم نداؤها جدار الصمت والدهشة ، فاندفع المهندسان والعمال نحو الرجل ، الذى تخاذلت قدماه ، وانهار على الرمال ..

وأسرع المهندس الأول يحمله ، وهو يتطلع فى دهشة بالغة إلى وجهه البالغ النحول ، وثيابه .. أو ما تبقى منها ، فى حالة مزرية للغاية ..

وبصوت واهن ضعيف مرتجف ، قال الرجل :

ـ إنهم .. إنهم يطاردوننى ..

سألته المهندسة فى دهشة :

ـ من هم ؟

رفع يده النحيلة ، وأشار بسبابة ترتجف من فرط الضعف إلى مرتفعات (تاسيلى) ، وردد :

ـ هم .

ثم انهارت ذراعه ، وازداد وجهه شحوبًا ، وجحظت عيناه ، وحاول أن يرفع قبضته اليسرى ، وهو يردد فى صوت بالغ الضعف ، سمعه بعضهم فى صعوبة :

ـ إنهم قادمون ..

كان من الواضح أنه يرغب فى قول المزيد ، إلا أن عينيه جحظتا بغتة ، واتسعتا عن آخرهما ، ثم انطلقت من حلقه شهقة عنيفة ، وانتفض جسده ، ثم ...

ثم استكان إلى الأبد ..

وأخفت المهندسة فمها بكفيها ، وهى تتراجع هاتفة :

ـ هل .. هل ..

قاطعها المهندس الثانى فى صوت مبهور :

ـ نعم .. لقد مات .

أما المهندس الأول ، فقد أغلق عينى الرجل فى خشوع ، ثم رفع يده ليضعها على صدره ..

وعندئذ انفرجت قبضة الرجل ..



كان من الواضح أنه يرغب فى قول المزيد ، إلا أن عينيه جحظتا بغتة ، واتسعتا عن آخرهما ، ثم انطلقت من حلقه شهقة عنيفة ، وانتفض جسده ..

انفرجت لتسقط منها زهرة عجيبة . لا مثيل لها بين كل زهور العالم ..

زهرة سوداء ..

★ ★ ★

(نور) .. أنت المسئول عن هذا ..

هتفت (مشيرة محفوظ) . صحفيةِ أنباء الفيديو الشهيرة . بتلك العبارة . فى وجه (نور) . الذى حافظ على هدوئه ، وهو يقول :

ـ مسئول عن ماذا يا (مشيرة) ؟

انعقد حاجبا (أكرم) ، وقال فى صرامة ، وهو يستقرّ على أحد المقاعد . فى ردهة منزل (نور) :

ـ لا تتحدثى عن هذا الأمر يا (مشيرة) .

وسألتها (سلوى) فى حيرة :

ـ أى أمر هذا ؟

صاحت (مشيرة) فى غضب :

ـ لقد قدّمت طلبا باسم (أكرم) . للانضمام إلى جهاز المخابرات العلميةَ . بعد كل ما قدّمه لهم من خدمات . منذ فترة ما بعد الاحتلال(★) . وحتى آخر عمليةَ لفريقكم . وكنت أتصوّر أن قبول انضمامه أمر مفروغ منه ، ولكننى فوجئت برفض الطلب .

سألت (سلوى) فى دهشةَ :

ـ وما شأن (نور) بهذا ؟.. إنه ليس المسئول عن قبول أو رفض مثل هذه الطلبات ؟!

(★) راجع قصة حصن الأشرار المغامرة رقم (٨٢) .

قالت (مشيرة) فى حنق :

- (نور) أحد كبار المسئولين الآن ، فى جهاز المخابرات العلمية الجديد ، وأحد أفراد لجنة البت فى الطلبات ، وهو بالذات رفض طلب (أكرم) .

بدت العصبية فى وجه (أكرم) وصوته ، وهو يقول :

- كفى يا (مشيرة) .. لا يصحّ الحديث عن هذا ..

أما (سلوى) ، فهتفت :

- (نور) رفض طلب انضمام (أكرم) ؟!.. مستحيل !.. هناك خطأ ما حتمًا .

ولكن (نور) أجاب فى حزم :

- لا يوجد أى خطأ يا (سلوى) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهبّ واقفا ، وهو يقول فى حدة :

- إذن فأنت رفضت بالفعل !..

لم يتخلَّ (نور) عن هدونه ، وهو يقول :

- إننى لم أرفضك بالذات ، فالطلبات التى تقدم لنا ، للبتّ فى أمرها ، لا تتضمّن أبدًا اسم الشخص ، وإنما تكون عبارة عن كشف كمبيوتر ، يحوى كل صفاته وأسلوبه ، والتحليل النفسى له ، حتى لا يتأثر أعضاء اللجنة باسمه أو صفته ، وعندما رفضت الطلب ، لم أكن أعلم أن صاحبه هو (أكرم) .

هتفت (مشيرة) :

- كان ينبغى أن تستنتج هذا .

ابتسم (نور) وهو يقول :

- كيف ؟!.. إنه لم يفاتحنى فى أمر رغبته فى الانضمام رسميًا إلينا ، ثم أن طبيعته لا تصلح للالتزام بالقواعد والقوانين .. إنه ... إنه ..

توقّف لحظة ، ليبحث عن لفظ مناسب ، ولكن (أكرم) قال بغتة :

- بدائى وهمجى ، ويميل إلى العنف .

صاحت (مشيرة) :

- (أكرم) .. كيف تصف نفسك ..

قاطعها فى حزم :

- لست أصف نفسى يا (مشيرة) .. إنه سبب الرفض ، الذى حملته الأوراق .

قال (نور) ، محاولًا تلطيف الموقف :

- (أكرم) .. إنه مجرّد وصف ، و ...

قاطعه فجأة أزير متصل ، تردد فى المكان كله !.. وتوقف الجميع دفعة واحدة ..

ثم انطلق هتاف حماسى :

- إنهم يستدعوننى .. لابد لى من الانصراف فورًا .

لم يكن (نور) هو صاحب ذلك الهتاف الحماسى ..

لقد كانت (مشيرة) ..

(مشيرة محفوظ) ، التى اختطفت حقيبتها ، وأسرعت إلى الباب ، مستطردةً :

- هيا يا (أكرم) .. هناك حتمًا خبر هام وعاجل ، ما داموا يطلبون حضورى على وجه السرعة .

أسرعت خلفها (سلوى) ، قائلة :

- يؤسفنى رحيلك هكذا ، ولكن ..

قاطعها (أكرم) فى هدوء عجيب :

- معذرة يا سيدتى ، ولكن الأمر لا يستحق منك أدنى قلق .

قالها ، وغادر المنزل بسرعة ، وانطلق بسيارته مع (مشيرة) ، فالتفتت (سلوى) إلى الداخل ، وهى تقول :

- (نور) .. هل ستتركهما ينصرفان هكذا ؟!

ثم اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تهتف :

- (نور) !.. أين أنت ؟!.. أين ذهبت ؟!

ومن نافذة المنزل المجاورة للباب ، لمحت (نور) يعدو من الباب الخلفى نحو سيارته ، وهو يرتدى سترته الجلدية على عجل ، فهتفت فى دهشة :

- إلى أين ؟

ولكن (نور) وثب داخل السيارة ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، فى نفس اللحظة التى لمحت هى فيها مصباح حجرة المكتب ، الذى تذبذب لحظات ، ثم عاد يستقر ..

وهنا فهمت (سلوى) على الفور ..

إنه عمل جديد ..

ومغامرة جديدة ..

★ ★ ★

اعتدل القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يستقبل (نور) فى مكتبه ، وأشار إليه بالجلوس ، وهو يقول فى لهجة خاصة ، تشف عن أهمية الأمر :

- اجلس يا (نور) .

ثم ضغط زر تشغيل (الهولوفيزيون) ، وهو يستطرد :

- سنتابع معا برنامجًا خاصًا عاجلًا ، تقدّمه على الهواء مباشرة صديقتك (مشيرة) .

جلس (نور) ، وهو يتمتم فى دهشة :

- (مشيرة) ؟!.. ألهذا انصرفت ؟!

أشار إليه القائد الأعلى بالصمت ، فى نفس اللحظة التى تكوّنت فيها الصورة الهولوجرافية وسط الحجرة ، وبدا وجه (مشيرة) ، وهى تقول فى انفعال :

- سيداتى آنساتى سادتى .. نقطع برامجنا ومقالاتنا المعتادة ، لنقدّم لكم هذا الخبر العاجل .. لقد تمّ العثور على الرحّالة المفقود (على ثابت) منذ ساعة واحدة ، بالقرب من مرتفعات (تاسيلى) الجزائرية ، بعد أن اختفت بعثته كلها ، منذ ما يقرب من عام كامل ، فى المنطقة نفسها ، فى أثناء محاولاتهم لكشف سر كهوف (تاسيلى) .

تحوّلت الصورة أثناء حديثها ، ليبدو وجه رجل قوى ، ممتلئ الوجه ، يبتسم فى ثقة ، ثم تبدّل ذلك الوجه ، ليظهر بدلًا منه وجه ذلك النحيل الشاحب ، الذى لقى مصرعه أمام المرتفعات ، و (مشيرة) تتابع :

- ولقد عاد (على ثابت) فى حالة مزرية ومخيفة ، وقد فقد أكثر من ثلثى وزنه ، ومن المؤسف أنه لقى مصرعه فور العثور عليه ، وهو يهذى بكلمات غير مفهومة ، ويحمل زهرة واحدة ، أكد علماء

النبات أنه لا وجود لمثلها قط ، على كوكب الأرض كله .. زهرة سوداء .

ومع عبارتها الأخيرة ، ظهرت صورة الزهرة السوداء على الشاشة ، والتقى حاجبا (نور) فى شدة ..

كانت زهرة سوداء قاتمة السواد ، تبدو يانعة طازجة ، على الرغم من مرور فترة طويلة على العثور عليها ، وأوراقها تلتمع برونق جذاب ، فى حين تنبت من عنقها أوراق خضراء زاهية ، منحتها شكلا أكثر روعة ..

وفى حماس وانفعال ، ختمت (مشيرة) حديثها ، قائلة :

- وسنعرض عليكم الآن تقريرا وافيا ، حول اختفاء بعثة (على ثابت) ، والجهود التى بذلتها السلطات الجزائرية آنذاك ، للعثور عليها ، أو تفسير سر اختفائها ..

أغلق القائد الأعلى (الهولوفيزيون) ، عند هذه النقطة ، والتفت إلى (نور) ، قائلا :

- ما رأيك ؟!

أجابه (نور) ، والدهشة تملأ نفسه :

- لازلت أذكر كيف اختفى (على ثابت) وبعثته ، عند مرتفعات (تاسيلى) ، منذ عام تقريبا ، وكيف خرجت عشرات الدوريات للبحث عنهم ، دون أن تعثر واحدة منها على أدنى أثر .. وفى النهاية خرج تقرير رسمى ، يشير إلى غرق أفراد البعثة كلهم ، فى بحر الرمال الناعمة .

قال القائد الأعلى :

- ولقد عاد (على ثابت) .

سأله (نور) فى اهتمام :

- المهم هو كيف عاد ؟

قال القائد الأعلى ، وحاجباه يلتقيان فى توتر :

- لقد أبلغتنا السلطات الجزائرية بالتفاصيل كلها ، منذ نصف الساعة ..

ومضى يقص عليه ما حدث ، بكل ما بلغه من تفاصيل ، و (نور) يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، حتى انتهى من الرواية ، وأضاف :

- ولقد سافر الدكتور (ناظم) فورا إلى الجمهورية الجزائرية ، لإحضار جثة (على ثابت) ، وتلك الزهرة السوداء .

بدا القلق على وجه (نور) ، وهو يقول :

- ليست تلك الزهرة السوداء هى ما يقلقنى يا سيدى ، ولكنها عباراته .. ما الذى يقصده بأنهم قادمون ؟.. من هم ؟.. ومن أين يأتون ؟.. وهل يرتبط هذا باختفائه الغامض ، وعودته الأكثر غموضا ؟.. لو أننا فكرنا فى كل هذا ، وربطناه بالزهرة السوداء ، التى لا مثيل لها على الأرض ، سيكون الجواب مخيفا .

تنهد القائد الأعلى ، وهو يقول :

- وهذا بالضبط ما استدعيتك من أجله يا (نور) .. إننى أكثر من يدرك تلك الحساسية المفرطة ، التى أصابت العالم الحديث ، تجاه كل ما يمكن أن يشير إلى احتمالات غزو فضائى جديد . وظروف الأمر هذه المرة تشير إلى هذا بشدة .

سأله (نور) :

- وما المطلوب من فريقى بالضبط يا سيدى ؟

أجابه القائد الأعلى على الفور :

ـ أن تستعد يا (نور) .. سنبدأ فى تشريح جثة (على) ، وفحص تلك الزهرة السوداء ، فور وصول الدكتور (ناظم) من (الجزائر) ، ولو أشار الفحص إلى شىء .. أى شىء .. أو بذر بذرة واحدة من الشك ، فعليكم أن تنطلقوا فورًا إلى منطقة مرتفعات (تاسيلى) .. فهناك ستكون مهمتكم القادمة .

قال (نور) فى حزم :

ـ ستجدنا على أهبة الاستعداد يا سيدى ، عندما يصل الدكتور (ناظم) .

لم يكد ينطقها ، حتى شعر فى أعماقه بقلق مبهم ، جعله يضيف على نحو يتنافى مع اللياقة :

ـ لو وصل سالمًا .

والعجيب أن القائد الأعلى لم يعترض على العبارة .. لم يعترض قط .

★ ★ ★



٢ ـ الرحلة ..

بدا الاهتمام والقلق على وجه الدكتور (ناظم ، وهو يشرف على نقل الزهرة السوداء ، وجثة (على ثابت) إلى الطائرة الخاصة ، التى تستعد للعودة به إلى (القاهرة) ، وشعر بارتياح كبير ، عندما استقرّ الاثنان داخل الطائرة ، والتفت يصافح مدير المخابرات العلمية الجزائرية ، الذى قال :

ـ صدقنى يا أخى .. جهازنا كان يستطيع التعامل مع هذه القضية ، بنفس كفاءة جهاز مخابراتكم العلمى ، ولكننا تركنا لكم الأمر برمته حسب طلبكم ، تأكيدًا لروح المودة والأخوة ، وتطبيقًا لمبدأ المعاملة بالمثل ، فقد سبق أن سلمتمونا قضية (الكاهن) كلها .. أليس كذلك ؟

قال الدكتور (ناظم) فى امتنان :

ـ صدقنى أنت يا رجل .. إننا ندين لكم بالشكر العميق ، فنحن نعتبر أن هذه القضية تخصنا .

قال مدير المخابرات مبتسمًا :

ـ هى لكم إذن .

تصافحا مرة أخرى ، واتجه الدكتور (ناظم) إلى الطائرة ، وهو يقول :

ـ أتمنى أن نلتقى فى ظروف جيدة ، فى المرة القادمة .

ضحك مدير المخابرات ، قائلًا :

ـ سبقتنى إلى القول .

انطلقت الطائرة عائدة إلى (القاهرة) ، والتقط الدكتور (ناظم) نفسا عميقا ، قبل أن يتمتم فى توتر :

ـ سيرى على بركة الله ، وأوصلينا إلى (القاهرة) فى سلام .

ابتسم الطيّار ، وقال :

ـ هل تشعر بالقلق ؟

أجابه الدكتور (ناظم) بصوت خافت :

ـ بل بالرهبة .

اختلس الطيّار نظرة خلفية ، إلى الجثة والزهرة ، وقال :

ـ أبسبب الجثة ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ بل بسبب الزهرة .

اختلس الطيّار نظرة أخرى ، وقال :

ـ إنها زهرة عجيبة ، لم أر قط مثلها ، ولكنها جميلة للغاية ، فأوراقها ناعمة ، و ...

سأله الدكتور (ناظم) بغتة :

ـ كيف عرفت أنها ناعمة ؟

ابتسم الطيّار ، وقال :

ـ شكلها يبدو كذلك .. إننى لم ألمسها فى الواقع .

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة على الزهرة ، وغمغم :

ـ أما أنا ، فلا أجرؤ على هذا .

كان يشعر برهبة عجيبة ، تجاه تلك الزهرة ، التى بدت داخل صندوقها الزجاجى يانعة متألقة ، وكأنما تم قطفها منذ دقيقة واحدة ،

وأوراقها السوداء تلتمع كقطع من الأبنوس الأصلى ، وتحيط بها أوراق الفرع الخضراء الزاهية ..

كانت فى لونها الأسود جميلة مبهرة ، ذات رونق خاص ..

وعلى الرغم من هذا كانت تخيفه ..

وترهبه ..

ولاحظ الطيّار نظراته المتوترة إلى الزهرة ، فقال محاولا تغيير دفة الحديث :

ـ أمامنا نصف الساعة ، لنصل إلى (القاهرة) .

لم يعلّق الدكتور (ناظم) على العبارة ، فانتقل الطيّار إلى نقطة أخرى ، وهو يقول :

ـ هل سبق لك أن زرت مرتفعات (تاسيلى) ؟

لم يكد ينطقها ، حتى أدرك أنه أخطأ الهدف ، ولكن لم يكن هناك مجال للتراجع ، خاصة وقد التقط الدكتور (ناظم) هذا الخيط ، وأجاب بسرعة :

ـ إنها ليست مزارًا سياحيًا .

أجابه الطيّار :

ـ ولكنها مزار علمى على الأقل .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه ، وقال :

ـ أنت محق فى هذا .

ثم تنهّد فى عمق ، وأضاف :

ـ ومن يدرى ؟.. ربما اضطررت لزيارتها قريبًا .

ضحك الطيار ، وقال :

ـ ولماذا قريبًا ؟.. يمكننا زيارتها الآن .
قالها ومال بالطائرة إلى اليمين ، فهتف به الدكتور (ناظم) :
ـ ماذا تفعل ؟!
أجابه الطيَّار فى مرح :
ـ سنتجاوز خط السير قليلا ، ونزور مرتفعات (تاسيلى) .
هتف الدكتور (ناظم) فى توتر :
ـ هذا مخالف للقانون .
ابتسم الطيَّار ، وقال :
ـ إنها نظرة واحدة فحسب .
وهبط بالطائرة قليلا ، ليَحلق فوق مرتفعات (تاسيلى) مباشرة ، وهو يستطرد :
ـ ها هى ذى المرتفعات الأسطورية ، ذات الكهوف الشهيرة .. إنها تبدو من هنا مثل أية مرتفعات عادية .
بدا التوتر على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :
ـ عد إلى خط السير الرسمى .. أسلوبك الهمجى هذا سيقلق أجهزة المراقبة الجوية الجزائرية ، وربما هاجمتنا طائراتهم المقاتلة .. هيا .. عد فورًا ، وإلا فسأذكر ما حدث فى تقرير خاص ، يكفى لفصلك تماما .
ارتبك الطيَّار ، وقال :
ـ معذرة يا دكتور (ناظم) .. أردت تخفيف حدة الموقف فحسب .
مال بالطائرة إلى اليسار ، وبدأ يرتفع بها رويدًا رويدًا ، ليعود إلى خط السير الأصلى ..

ولكن فجأة ، ارتجت الطائرة فى قوة ، وصرخ الدكتور (ناظم) :
ـ ماذا حدث ؟
هتف به الطيَّار فى اضطراب :
ـ شىء ما أصاب ذيل الطائرة .. قذيفة ليزر على الأرجح .
شحب وجه الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يقول :
ـ لقد حدث ما كنت أخشاه .. الطائرات الحربية الجزائرية هاجمتنا .
أطلق الطيَّار العنان لسرعة الطائرة ، وهو يقول فى عصبية :
ـ أعتقد أن هذا ما حدث بالفعل ، فالذيل يحترق ، وأظنه سينفصل عن الطائرة .
هتف الدكتور (ناظم) :
ـ يا إلهى !.. لا تقل لى أننا سنسقط .
لم يكد ينطقها ، حتى انفصل ذيل الطائرة بالفعل ، وصرخ الطيَّار :
ـ إننا نسقط بالفعل .
امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وتشبث فى مقعده بكل قوته ، فى حين راح الطيَّار يبذل قصارى جهده ؛ للسيطرة على الطائرة ..
ولكن هيهات ..
لقد ضاعت الدفة ، وفقدت الطائرة جهاز التوجيه ، و ...
ولم يعد هناك مفرّ ..

* * *

« سقطت طائرة الدكتور (ناظم) ... »
هبّ القائد الأعلى من مقعده ، وهو يهتف بالعبارة ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وقال :

- هذا ما كنت أخشاه .

ثم أضاف فى حزم :

- المفروض أن ننطلق فورا إلى هناك ؛ للبحث عنه وإنقاذه ، لو أنه ما يزال على قيد الحياة .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلا :

- الوقت لا يكفى لهذا .. لقد رصدت القوات الجزائرية سقوط الطائرة ؛ وبدأت عملية البحث عنها بالفعل .

اعتصر (نور) قبضته ، وهو يتمتم :

- الزهرة السوداء .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

- ماذا تعنى ؟

أجابه (نور) :

- من الواضح أن هذه الزهرة السوداء ترمز لأمر ما ، حاول (على ثابت) تحذيرنا منه ، قبل أن يلقى مصرعه ، ومن المحتمل أن هؤلاء ، الذين أشار إلى قدومهم ، سيحاولون منع وصول هذه الزهرة إلينا ، ومنعنا من فحصها .

قال القائد الأعلى :

- أتعنى أنهم المسئولون عن سقوط طائرة الدكتور (ناظم) ؟

قال (نور) فى حزم :

- احتمال كبير .

ضرب القائد الأعلى سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول :

- أنت على حق ، والدليل أن طائرة الدكتور (ناظم) قد سقطت ،

دون أن تبلغ عن عطل واحد ، بعد تغيير خط سيرها على نحو مباغت ، وتحليقها فوق مرتفعات (تاسيلى) .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- إذن فهناك يكمن السر يا سيدى .

ووضع سبابته على نقطة بالخريطة ، مستطردا فى حسم :

- فى مرتفعات (تاسيلى) .

★ ★ ★

بذل الطيار قصارى جهده ، للسيطرة على الطائرة ، وتجاوز بها منطقة المرتفعات بالفعل ، ولكنها واصلت هبوطها المخيف ، فصرخ الدكتور (ناظم) :

- ستنفجر الطائرة .

قال الطيار ، وهو يجذب عجلة القيادة بأقصى قوة ، ليرفع مقدمة الطائرة :

- ربما لا .. لو ..

قبل أن يتم عبارته ، كانت الطائرة قد بلغت رمال الصحراء ، شرق المرتفعات ، وارتطم بطنها بالرمال ، فوثبت على نحو مخيف ، ثم ارتفعت مؤخرتها ، وانغرست مقدمتها بالرمال ، فارتفعت بشكل رهيب ، ثم هوت على ظهرها ، وتصاعدت حولها سحابة ضخمة من الرمال ، ثم لم تلبث أن تهاوت بسرعة لتكشف المشهد المخيف ..

وساد صمت رهيب ..

وداخل الطائرة ، انقلب كل شىء رأسا على عقب ، وسقطت جثة (على ثابت) ، وفوقها الزهرة السوداء ، داخل صندوقها الزجاجى ،

فى حين تعلّق جسدا الدكتور (ناظم) والطيّار فى مقعديهما ، بفضل الحزامين ، اللذين يشدانهما إلى المقعدين ..

واستعاد الدكتور (ناظم) وعيه أولا ، فحلّ حزام مقعده فى صعوبة ، وهو يهتف :

ـ لم تنفجر الطائرة .. لقد نجونا .

سقط فى سقف الطائرة المقلوب ، وهبّ واقفا ، وحلّ حزام مقعد الطيّار ، وحمله على كتفيه ، ثم أرقده أرضا ، وحاول إسعافه ، وهو يقول :

ـ هيا .. استيقظ يا رجل .. لقد نجونا .. لم تنفجر الـ ...

بتر عبارته بغتة ، مع صوت احتكاك عنيف ، فى مؤخرة الطائرة ، حيث انفصل الذيل ، وأدار عينيه إلى الباب الذى يفصل مقدمة الطائرة عن مؤخرتها ، وتطلّع إليه فى قلق ، مع وقع الأقدام الثقيل ، الذى تناهى إلى مسامعه ، وهو يقترب من ذلك الباب ..

ثم دوت طرقات قوية على الباب ..

وفجأة ، انفجر رتاجه ..

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى هلع ، وارتعدت فرائصه ، مع مرأى ذلك العملاق ، الذى دفع الباب بقدمه ، فانتزعه من مكانه ، وانحنى ليدلف إلى الداخل ..

كان يبلغ المترين طولا على الأقل ، وله وجه صارم قوى مخيف ، تميل بشرته إلى الشحوب ، وعينان كبيرتان سوداوان ، وفك عريض ، ويرتدى ثوبا من قطعة واحدة ، له لون فضى باهت ، وحذاء طويل العنق ، ذهبى اللون ، ويمسك بيده شيئًا أشبه بمسدس واسع الفوهة ، رفيع المقبض ..

ولثوان ، التقت عينا الدكتور (ناظم) بعينى العملاق ..

وكانت نظرة العملاق قاسية مخيفة ، ولكنها خاوية ، كما لو كانت مطبوعة على عينيه ، دون إحساس أو انفعال ..

ثم أدار العملاق عينيه فى بطء إلى أسفل ..

إلى الزهرة السوداء ..

واتجه إليها ..

وهنا هبّ الدكتور (ناظم) واقفا ، وهتف :

ـ لا .. اتركها .

ولكن العملاق اعتدل فجأة ، وطوّح يده فى وجه الدكتور (ناظم) ، ولطمه لطمة قوية ، انتزعته من مكانه ، وألقت به إلى الخلف فى عنف ..

ثم انحنى العملاق فى حرص ، والتقط الصندوق الزجاجى ، الذى يحوى الزهرة السوداء ، واستدار ليغادر المكان فى هدوء ..

واستعاد الدكتور (ناظم) وعيه فى سرعة ، ورأى ذلك العملاق يغادر الطائرة ، حاملا الزهرة ، فصاح :

ـ لن أسمح لك .

كان مصرًا على عدم التخلّى عن الزهرة ، حتى إنه نسى فارق القوة ، بينه وبين ذلك العملاق ، فهبّ واقفا على قدميه ، وانطلق خلفه ، ووثب يتعلّق بعنقه من الخلف ، وهو يهتف :

ـ لن أتخلّى عنها بهذه البساطة .

زمجر العملاق فى غضب ، وضمّ الزهرة إلى صدره بيمناه ، ثم

ادار يسراه خلف ظهره ، وأمسك عنق الدكتور (ناظم) من الخلف ، وانتزعه من مكانه ، وضرب به الحائط بكل عنف ..

وفى هذه المرة ، خُيِّل للدكتور (ناظم) أن ظهره قد انقسم إلى قسمين ، وسقط أرضًا وهو يتأوَّه فى ألم ، وقد فقد كل إصراره على القتال ..

ولكن العملاق انحنى يقبض على رقبته ، بأصابع كالفولاذ ، ورفعه بقوة إلى أعلى ، حتى أن قدمى الدكتور (ناظم) ارتفعتا عن الأرض ، وجحظت عيناه فى هلع وألم ، وراحت قدماه تضربان الهواء فى استماتة ، وهو يتشبَّث بذراع العملاق ، محاولا تخليص عنقه ، قبل أن يختنق ، والعملاق يزيد من ضغط أصابعه أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

ثم دوت تلك الرصاصة ..

وتراخت أصابع العملاق ..

وسقط الدكتور (ناظم) ..

وبعينيه الجاحظتين ، رأى الدكتور (ناظم) الطيَّار ممسكا بمسدس قديم ، يتصاعد الدخَّان من فوهته ، وخيط من الدم يسيل من صدر العملاق ..

ولكن العملاق لم يسقط ..

لقد استدار إلى الطيَّار ، وصوَّب إليه ذلك المسدس ، الذى يمسك به ، فتراجع الطيَّار خطوة إلى الخلف ، وصرخ الدكتور (ناظم) :

ـ أطلق رصاصة أخرى يا رجل .. أطلق بالله عليك



ولكن العملاق اعتدل فجأة ، وطوَّح يده فى وجه الدكتور (ناظم) ، ولطمه لطمة قوية ، انتزعه من مكانه ، وألقت به إلى الخلف فى عنف ..

وضاع صراخه ، مع ذلك الفحيح القوى ، الذى انطلق من مسدس العملاق ، مع شىء يشبه البرق ، اندفع من الفوهة الواسعة ، وأصاب صدر الطيّار ، الذى أطلق صرخة هائلة مدوية ، وجسده يندفع إلى الخلف كالقنبلة ، ويخترق زجاج الطائرة السميك ، ثم يسقط متفحمًا على رمال الصحراء ..

واحتبست الدماء فى عروق الدكتور (ناظم) ، وأيقن من أنه الضحية التالية حتمًا ، فالتصق بجدار الطائرة الداخلى ، وتلى الشهادتين ، وأغلق عينيه فى قوة ، وترك جسده يرتجف ..

ولكن العملاق لم يقتله ..

لقد تجاوزه فى خطوتين واسعتين ، وعبر باب المؤخرة المقلوب ، ثم وثب خارج الطائرة واتجه نحو مرتفعات (تاسيلى) ، وهو يحمل الصندوق الزجاجى ، الذى يحوى الزهرة ..

وفى اللحظة نفسها ، ظهرت الطائرات الجزائرية ..

أربع طائرات هليوكوبتر مقاتلة ، برزت دفعة واحدة ، واتجهت نحو الطائرة المقلوبة ..

وهتف أحد طيارى الهليوكوبتر فى ذهول :

ـ رباه !.. هل ترون ما أرى ؟.. ما هذا بالضبط ؟

وفى اللحظة التالية ، استدار العملاق إلى طائرات الهليوكوبتر الأربع ، ورفع مسدسه ..

وانطلقت صاعقة أخرى ..

صاعقة مخيفة ، أصابت إحدى الطائرات الأربع ، فنسفتها كقنبلة رهيبة ، وتناثرت شظاياها إلى مسافة واسعة للغاية ..

ودون تفكير ، وبحركة غريزية بحتة ، أطلق طيارو الهليوكوبتر نيرانَ مدافعهم على ذلك العملاق ..

وهوت أشعة الليزر على العملاق من كل صوب ..

وانكمش الدكتور (ناظم) فى مكانه ، وهو يراقب ذلك المشهد الرهيب ..

لقد أدرك العملاق أنه يواجه قوة تفوق قوته كثيرًا ، وأنه ضائع لا محالة ، فاستدار يولى الطلقات ظهره ، وهو يضم الزهرة السوداء وصندوقها إلى صدره فى قوة ، وكأنه يحميها من النيران ..

ورأى الدكتور (ناظم) أشعة الطائرات تخترق جسد العملاق فى عدة مواضع ، والدماء تنبثق منه غزيرة مخيفة ، حتى هوى أرضًا ، وسالت دماؤه على رمال الصحراء ، وصبغتها بلونها الأحمر القانى ..

وهنا ..

هنا فقط توقف انهمار الأشعة القاتلة ، وحامت طائرات الهليوكوبتر الثلاث حول جثة العملاق ، ثم هبطت فى حذر ..

ومع هبوطها اندفع الدكتور (ناظم) خارج حطام الطائرة ، واختطف صندوق الزهرة ، من بين يدى العملاق ، وتراجع هاتفًا :

ـ لقد استعدتها .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انفجر العملاق ..

انفجر جسده كقنبلة بشرية ، وتناثرت منه الدماء والأشلاء ، ولطخت وجه وجسد الدكتور (ناظم) ، الذى صرخ :

ـ يا للبشاعة !

ولم تمض ثانية واحدة على صرخته ، حتى كان كل شىء قد انتهى ، ولم تتبقَ من العملاق سوى أشلاء صغيرة ، وبركة من الدماء ، و ...

ولغز ..

لغز كبير ..

★ ★ ★



٣ ـ بأى ثمن ..

انحنت (سلوى) تتطلع إلى الزهرة السوداء ، داخل ناقوس زجاجى خاص ، فى معمل أبحاث إدارة المخابرات العلمية ، وقالت :

ـ إنها تحفة رائعة ، لا مثيل لها فى العالم كله ، ولكنها تبدو أشبه بشىء مصنوع ، منها بزهرة حقيقية .

قال الدكتور (ناظم) :

ـ لونها فقط هو الذى يوحى بهذا ، ولكنها زهرة حقيقية ، لها كل صفات النباتات المعروفة على كوكب الأرض ، ولكنها فى الوقت نفسه تختلف تماما .

سأله (نور) :

ـ كيف يتفق هذا وذاك ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ إن لها خاصية عجيبة ، تختلف فيها عن كل الزهور المعروفة .. أو قل عدة خواص ، لو شئت الدقة ؛ فتلك البتلات السوداء ، ذات الملمس الناعم ، والتألق المبهر ، والتى تكون تويج الزهرة(★) ، تحوى كمية كبيرة من (اليخضور)(★★) ، ولها نفس قدرة

(★) تتكون الزهور من (الكاس) ، الذى يتكون من (سبلات) خضراء اللون ، و (التويج) ، الذى يمنحها لونها المميز ، وهو يتكون من (بتلات) ملونة ، و (الطلع) ، وهو عضو التذكير ، و (المتاع) وهو عضو التأنيث .

(★ ★) اليخضور = الكلورفيل : هو المادة التى تكسب النبات اللون الأخضر ، وتساعده على القيام بعملية البناء الضوئى ، وتوجد فى البلاستيدات الخضراء ، وهى تشبه الدم ، من الناحية الكيميائية والوظيفية ، وضوء الشمس عامل أساسى فى تكوينها وتفاعلها .

الأوراق ، على القيام بعملية البناء الضوئى ، ثم أن هذه الزهرة لاتحتاج إلا إلى كمية قليلة للغاية من الماء ، ويمكنها الاحتفاظ به داخل خلايا خاصة ، مرنة الجدران ، بحيث تبقى صالحة للحياة فترة طويلة ، حتى فى صحراء قاحلة .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- إذن فهذه الزهرة صحراوية .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

- هذا مستحيل تقريبًا . فهى تصلح للعيش فى أماكن مظلمة ، ضعيفة التهوية ، قليلة المياه ، وفى أسوأ ظروف مناخية ممكنة .

قالت (سلوى) فى دهشة :

- وأين يمكن هذا ؟

أجاب (نور) فى سرعة :

- فى الكهوف .

بدت لها لهجته غامضة عجيبة ، فتطلعت إليه فى دهشة ، فى حين سأل هو الدكتور (ناظم) :

- وهل يمكن أن تتواجد هذه الزهرة فى الطبيعة ، كتحوّر بيئى مثلاً ؟!

هزَّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

- علماء النبات يقولون أن هذا ممكن نظريًا ، ولكنهم يرفضونه عمليًا ، ويؤكدون أن هذه الزهرة لايمكن تواجدها بوسيلة واحدة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- هندسة الوراثة .(*)

ازداد انعقاد حاجبا (نور) ، وغمغم :

- هذا ما توقعته .

قال الدكتور (ناظم) :

- لست وحدك من توقّع هذا يا (نور) ، فالهندسة الوراثية هى الحل الأمثل لإيجاد مثل هذه الزهرة ، على الرغم من صعوبة إحداث هذا ، ولكن كيف تفسّر كل ما يدور حولها ؟.. إسقاط طائرتى ، وذلك العملاق العجيب ، وحمايته للزهرة بجسده ، ثم انفجاره البشع !.. ما الذى يعنيه كل هذا .

أجابه (نور) :

- يعنى أن هذه الزهرة نتاج تجربة بالغة الأهمية ، يسعى صانعوها لإخفاء أمرها بأى ثمن ، حتى ولو خاطروا بكشف وجودهم .

قالت (سلوى) :

- ومن هم ؟

رفع (نور) سبّابته ، وهو يقول :

- هذا هو السؤال .. من هؤلاء ، الذين صنعوا الزهرة السوداء ؟.. ولماذا يبذلون كل هذا الجهد ، لحماية تجربة من تجارب هندسة الوراثة .

(★) هندسة الوراثة : علم جديد ، يسعى لدراسة وتحديد وظائف ومواقع الجينات المختلفة ، فى الضفائر الوراثية ، ومحاولة ترويضها ، وتحديد ظروفها واتجاهاتها حسبما يريد العلماء ، بحيث يمكن استنباط سلالات جديدة من الحيوان والطير والنبات .. وحتى البشر .

تدخل الدكتور (ناظم) ، قائلا :

- الواقع يا (نور) أننا لم نسبر كل أغوار هذه الزهرة بعد ، فتحليل جيناتها يشير إلى وجود جينات عجيبة ومتحوِّرة ، لا يعلم علماؤنا وظيفتها بعد .

سألته (سلوى) فى دهشة :

- أتعنى أنه من المحتمل أن تحمل هذه الزهرة صفات مجهولة ؟!

أجابها بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- هذا ما أعنيه بالضبط .

ثم أضاف فى حزم :

- بل هناك ما هو أخطر .

تطلَّع إليه (نور) و (سلوى) فى قلق وتساؤل ، فتابع بنظرة تَشِف عن خطورة الأمر :

- لقد خرجت من بين علمائنا نظرية ، تقول : إن هذه الزهرة لا تنتمى إلى كوكب الأرض .. إنها من عالم آخر .. عالم يسعى لاحتلالنا .

وارتجفت (سلوى) فى قوة ..

★ ★ ★

ارتدى الدكتور (محمد حجازى) قفازيه ، وضغط زر جهاز التسجيل ، وبدأ فى فحص جثة (على ثابت) ، وهو يملى تقريره على الجهاز ، قائلا :

- الجثة لذكر ، فى أواخر الأربعينات من عمره ، نحيل بشدة ، حتى أن طبقة الشحم تحت الجلدية قد اختزلت تماما ، مما يشير إلى

تعرّضه لجوع شديد ، لفترة طويلة ، وهو يرتدى ثيابًا رثة ، ويطلق لحيته منذ فترة تتجاوز الشهرين ، وهناك آثار كدمات وسحجات فى باطن قدميه ، تشير إلى السير لفترة طويلة ، فوق أرض وعرة غير ممهَّدة .

بدأ ينزع الثياب عن الجثة ، وهو يواصل :

- بعض قطع الثياب ملتصقة بالجلد ، وحزام السروال متمزّق ، و ...

وفجأة ، ارتفع صوت من الحجرة ، يقول :

- أنا (على ثابت) .. استمعوا إلىّ جيدًا .

تراجع الدكتور (حجازى) فى حركة حادة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يحدّق فى جثة (على ثابت) أمامه ..

لم تكن المرة الأولى ، التى يفحص فيها جثة ، داخل حجرته الخاصة ، بل لقد فعل هذا مئات المرات ..

ولكنها أوّل مرة تتحدّث فيها جثة إليه ..

أوّل مرة على الإطلاق ..

وفى ذعر واضح ، التصق الدكتور (حجازى) بالجدار ، والصوت يتابع :

- لقد هربت منهم ، وهم يطاردوننى ، ولست أدرى كيف ...

ثم بدت قرقعة عجيبة ، أخفت الصوت لحظات ، قبل أن تتلاشى ، ويعود الصوت قائلاً :

- أملى الوحيد هو أن أصل إلى عالمى ، مع هذه الزهرة السوداء .. لو وصلت حيًا ، سيتغيّر مصير العالم وتاريخ الأرض .. إن هؤلاء الـ ...

مرة أخرى تردَّدت القرقعة على نحو مزعج ، واستمرَّت فترة ، سمحت للدكتور (حجازى) بالتقاط أنفاسه المبهورة ، وهو يغمغم :

ـ إنها ليست الجثَّة التى تتحدَّث .

ثم اندفع نحو الجثة ، مستطردًا :

ـ إنه جهاز صوتى صغير .. لقد أشعلته مصادفة ، وأنا أنزع حزام السروال .

أزاح الحزام ، فانكشف أمامه الجهاز الصوتى الصغير ، وعاد الصوت يقول :

ـ أعلم أنهم مستعدون لبذل أرواحهم ، فى سبيل استعادة هذه الزهرة ، ولكننى سأتشبث بها ، حتى لو استخدموا ...

عادت القرقعة فى عنف ، واستمرَّت دقيقة ، ثم صمت الجهاز تمامًا ..

ولثوان ، التزم الدكتور (حجازى) الصمت بدوره ، فران على الحجرة صمت رهيب ، لم يلبث الدكتور (حجازى) أن قطعه ، وهو يهرول نحو هاتف الفيديو ، قائلاً فى انفعال :

ـ من المؤكد أن هذا الخبر يهمّ (نور) .. يهمه بشدة .

★ ★ ★

« إنه أمر بالغ الأهمية بالفعل .. »

قالها (نور) ، وهو يغلق الجهاز الصوتى ، ويرفع عينيه إلى القائد الأعلى ، الذى قال :

ـ للأسف ، لم ينجح خبراؤنا فى استعادة الأجزاء المفقودة ، ولكن الجزء الباقى يوضح أن (على ثابت) قد وقع على سر بالغ الخطورة ،

بالنسبة لقوم نجهلهم ، ولكنهم بصدد التأثير على مصير الأرض ، وهذه الزهرة السوداء تعنى الكثير بالنسبة إليهم .. الكثير جدًا .

أضاف (نور) فى ثقة :

ـ وأنهم يختفون عند مرتفعات (تاسيلى) .

تطلَّع إليه القائد الأعلى لحظة ، ثم قال :

ـ هذا واضح .

ثم عاد خلف مكتبه ، وعقد أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد :

ـ يبدو أن فريقك سيسافر إلى مرتفعات (تاسيلى) يا (نور) .

بدا الأسف على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ لم يتبق سوانا ، (سلوى) وأنا ياسيدى ، فـ(رمزى) و (محمود) مصابان ، و (نشوى) لم تعد هنا .

أومأ القائد الأعلى برأسه متعاطفًا ومتفهمًا ، وقال :

ـ هل ترغب فى تكوين فريق احتياطى ؟

أجابه (نور) :

ـ كلا يا سيدى .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكننى أرغب فى انتداب شخص من خارج الإدارة ، كنوع من الاختبار والتدريب له .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وقال :

ـ اختبار وتدريب ؟!.. ألا ترى معى أن الوقت لا يناسب هذا يا (نور) ؟

قال (نور) :

- إنه شخص مناسب تمامًا للمهمة يا سيِّدى .

سأله القائد الأعلى :

- ومن هذا الشخص بالضبط ؟

اعتدل (نور) ، وشدّ قامته ، وهو يقول :

- (أكرم) يا سيِّدى .. المهندس (أكرم) .

ووقّع القائد الأعلى بالموافقة ..

★ ★ ★

شعر (نور) بشىء من الارتياح ، وهو يغادر حجرة القائد الأعلى ، ويستقلّ ذلك المصعد الأسطوانى الشفاف ، ليصعد إلى مبنى المخابرات العلمية ..

لقد حقّق ذلك التوازن الذى ينشده ..

أن يمنح (أكرم) فرصة العمل فى المخابرات العلمية ..

ودون التزام دائم ..

كانت هذه المهمة فرصة مناسبة ، لاختبار قدرات (أكرم) ، على العمل تحت قيادة رسمية ، والالتزام بقواعد ثابتة ..

وهى ، فى الوقت ذاته ، استغلال لمهارات (أكرم) ، فى هذه المهمة التى تحتاج بالفعل إلى رجل مثله ..

رجل بدائى ..

وهمجى ..

راح عقله يستعرض تفاصيل العملية ، كما خطّط لها ، حتى بلغ الطابق الأرضى ، فغادر المصعد الأسطوانى ، وتجاوز الممر المقابل

له ، والمضاء بضوء بنفسجى هادئ ، وتوقّف لحظة أمام جهاز أمن البوّابة ، وهو يقول :

- هيا يا (صالح) .. لدى موعد عاجل .

كان ينتظر هبوط شعاع وردى على وجهه ، لفحص ملامحه ، وتوزيع المسام العرقية فى كفيه ، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ، فالتقى حاجباه فى قلق ، وهو يقول :

- (صالح) .. أين أنت ؟

تحوّل قلقه إلى توتّر شديد ، عندما لم يتلقّ جوابًا ، فى هذه المرة أيضًا ، فدفع الحاجز الذى يفصله عن رجل الأمن ، و ...

وانعقد حاجباه فى شدة ، حتى كادا يمتزجان ..

لقد رأى (صالح) أمامه ، ملقى على مقعده ، وقد ذبحه أحدهم ذبحًا كالنعاج ، وتركه يسبح فى بحر من الدم ..

وبحركة سريعة ، استلّ (نور) مسدسه الليزرى ، وتلفّت حوله فى حدة ، ثم التقط جهاز اتصاله الخاص من حزامه ، وقال :

- هنا الرائد (نور) .. إنذار عام .. إنذار عام .. هناك دخلاء فى المبنى .. أغلقوا كل أبواب الطوارئ .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هبطت كل أبواب الطوارئ ، المصنوعة من سبيكة الفولاذ والتيتانيوم ، وأغلقت بأرتجة إليكترونية خارجية ، فى حين اندفع (نور) نحو المكان الوحيد ، الذى يثق فى تعرّضه للهجوم والاعتداء ..

إلى معمل الأبحاث ..

وفى الطريق إلى المعمل ، كان الفاعل قد ترك خلفه آثارًا لا يمكن تجاهلها ..

جثث علماء ورجال أمن ..

كان من الواضح أنه يقتل بسرعة ، وقوة ، ودون ذرة واحدة من التردد ..

وبأقصى وحشية ممكنة ..

ولكن الشىء الذى أقلق (نور) بالفعل هو كيف ؟!..

كيف تمكن ذلك المعتدى من قتل كل هذا العدد ، من رجال الأمن والمخابرات المدربين ، دون أن يقاومه واحد منهم ؟..

بل ودون أن ينتبه إليه !!

ووصل (نور) إلى حجرة أبحاث النبات ، حيث تستقر الزهرة ..

وفى سرعة ، وبدون تردد ، اقتحم (نور) الحجرة ، وصوب مسدسه نحو الناقوس الزجاجى ، الذى يحوى الزهرة السوداء ..

كان يتوقع مفاجآت لا حصر لها ، وعلى الرغم من هذا فقد تراجع بحركة حادة ، عندما وقع بصره على المعتدى ، الذى كان يهم بالتقاط الزهرة ، فى نفس اللحظة ..

كان نسخة طبق الأصل من ذلك العملاق ، الذى وصفه الدكتور (ناظم) ..

الطول الذى يبلغ المترين ..

الفك العريض ..

النظرة القاسية الجامدة المطبوعة ..

الزى الفضى ..

الحذاء الذهبى ..

كل شىء ..

ولقد اعتدل العملاق بحركة بطيئة ، واستدار يواجه (نور) ..

ثم استل سيفًا ..

سيفًا ضخمًا ، مصقولا ، حادًا ، التمع نصله وتألق ، تحت أضواء الحجرة ..

نفس السيف الذى ذبح الضحايا ..

واتجه العملاق نحو (نور) ..

وفى حزم ، صوب إليه (نور) مسدسه ، وقال :

- توقف ، أو أطلق النار على رأسك مباشرة .

توقف العملاق دفعة واحدة ، فتمتم (نور) فى ارتياح :

- هذا أفضل .

ولكن العملاق ضغط زرا فى حزامه ، فتألق جسده فى قوة ، جعلت (نور) يخفى عينيه ، هاتفا :

- أى عبث شيطانى هذا ؟

لم يكد ينطقها ، حتى خبا التألق بغتة ، ففتح (نور) عينيه ، و ... وشهق فى دهشة ..

لقد اختفى العملاق ..

اختفى تمامًا ..

ولثوان ، تجمد (نور) فى مكانه ، ثم اندفع إلى الأمام ، هاتفًا :

- أهو صورة هولوجرافية ، أم ؟..



وكان الجسد قويًا صلبًا ، أشبه بجدار بشرى ، اصطدم به (نور) ، فقد توازنه ، وانزلق ليسقط أرضًا ..

لم يكد يندفع إلى الأمام ، حتى سمع فرقعة قوية خلفه ، فاستدار ليرى الجدار وقد أصابته ضربة عنيفة ، شقَّت جزءًا منه ..

وهنا فهم (نور) الأمر ..

واتسعت عيناه فى ذعر ..

العملاق لم يكن مجرَّد صورة هولوجرافية ..

إنه حقيقة ..

حقيقة لم تعد مرئية ، على الرغم من أنها تحمل سيفًا حادًا .. وقاتلاً ..

وقفز (نور) من مكانه ، فهوت على نفس الموضع ضربة سيف أخرى ، كانت تكفى لقطع رأسه ، لو أنه لم يبتعد فى الوقت المناسب ..

ولم يدر أين يذهب ؟..

إنه يواجه قاتلاً خفيًا ، وسيفًا بتَّارًا ، لا فكاك منه ..

وراح (نور) يتحرَّك عشوائيًا ، داخل الحجرة ..

وهوى السيف مرة ، ومرة ..

وفى كل مرة كان يخطىء (نور) ..

وارتفعت زمجرة غاضبة فى المكان ..

وتحرَّك (نور) ليفرّ من السيف الخفى مرة أخرى ..

ولكنه ارتطم بغتة بشىء ما ..

بجسد العملاق ..

وكان الجسد قويًا ، صلبًا ، أشبه بجدار بشرى ، اصطدم به (نور) ، ففقد توازنه ، وانزلق ليسقط أرضًا ..

وهنا انطلقت زمجرة ظافرة ، من أمامه مباشرة ، وهو محشور بين الحائط وجسد قاتله ..

وأدرك (نور) أن السيف القاتل يرتفع الآن ، ليهوى على رأسه مباشرة ..

ودون رحمة .

★ ★ ★



٤ ـ مهمة خاصة ..

ترقرقت الدموع فى عينى (مشيرة) ، وهى تتطلّع إلى (أكرم) ، الذى يعدّ حقيبته فى إصرار ، وقالت فى ألم ومرارة :

ـ ولكن لماذا ؟

أشاح بوجهه عنها ، وتجاهل السؤال تمامًا ، وهو يواصل تعبئة حقيبته ، فانهمرت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

ـ لماذا تصرّ على الرحيل الآن ؟

أجاب فى حزم :

ـ لا مكان لى هنا .

هتفت بصوت مبحوح :

ـ ولكننى أحبك .

توقّف مع كلمتها ، ومع كل ما تموج به من انفعالات ، وأغلق عينيه فى قوة لحظات ، وقال فى مرارة ، لا تقلّ عن مرارتها :

ـ وما نهاية هذا الحب ؟

بكت فى حرارة ، وهى تقول :

ـ وما نهاية أى حب طبيعى ؟

التفت إليها ، وهو يقول فى ألم وحدة :

ـ أنا رجل فاشل يا (مشيرة) .. صدقينى .. لست الرجل الذى يناسبك .. أنت صحفية ناجحة ، فى أوّل جريدة تليفزيونية مرئية ، وستصبحين يومًا رئيسة تحريرها ، أما أنا فمهندس ، لم تتجاوز أعلى وظيفة حصلت عليها مساعد مهندس ثالث ، فى إدارة المناجم وأحمل

الآن لقب (عاطل) ، فى العصر الجديد ، بلا وظيفة ، أو طموح ، أو أمل .

قالت فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ لن يظل الحال على ما هو عليه طويلاً .. أنت ذكى ومثابر ، وستحصل حتمًا على وظيفة مناسبة .

صاح فى عصبية :

ـ أتقصدين وظيفة كتلك ، التى اقترحتها ، والتى تم رفضى منها بالإجماع ، باعتبار أننى همجى وبدائى ؟!.. لا يا (مشيرة) .. لن أتوّل العمل قط .. سأحصل على عمل ، عندما أصلح تمامًا له .

مسحت دموعها ، وهى تقول :

ـ وماذا عن وظيفة الإعلانات ؟

أطلق ضحكة عصبية ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ أتقصدين تلك الوظيفة السخيفة ، التى تتطلب منى رسم ابتسامة على شفتىّ ، وأنا أنطق اسم عطر جديد ، أو أرتدى حلّة أنيقة ؟!.. لا يا عزيزتى .. لست هذا الرجل .

وأغلق حقيبته فى حزم ، وهو يستطرد :

ـ سأرحل يا (مشيرة) .. سأجوب (مصر) كلها ، بحثًا عن عمل ، أو أنطلق إلى أى بلد آخر .. المهم أننى لن أعود ، قبل أن ألتحق بعمل جيّد ومناسب .

سألته باكية :

ـ وماذا عنى ؟!

شرد ببصره لحظة ، وقال :

ـ إنه قرارك أنت .

قالت فى مرارة :

ـ لن أتخلى عنك قط .

شرد ببصره لحظات أخرى ، ثم قال :

ـ فليكن يا (مشيرة) .. انتظرينى لو أردت .. ولكن دون التزام منك .. انتظرينى لعام واحد ، وبعدها ..

قاطعته بسرعة :

ـ سأنتظرك حتى آخر نفس فى صدرى .. سأنتظرك حتى ولو ...

بترت حديثها ، مع صوت آلة استقبال الرسائل (الفاكسميلى) ، فى حجرة (أكرم) ، الذى اعتدل بحركة حادة ، وتطلّع إلى الآلة فى دهشة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. لم أتلق رسالة واحدة ، منذ استأجرت هذا المكان .

قفزت (مشيرة) إلى الآلة ، واختطفت الرسالة منها ، وخفق قلبها فى عنف ، وهى تقرأ مضمونها القصير ، وصرخت فى فرحة عارمة :

ـ حمدًا لله .. ستبقى يا (أكرم) .. ستبقى .

انعقد حاجباه ، وهو يسألها فى دهشة :

ـ ماذا تعنين ؟

أدارت الورقة ليواجهه الوجه المطبوع منها ، وهى تقول فى سعادة بلا حدود :

ـ انظر .. إنه استدعاء رسمى لك يا (أكرم) .. استدعاء يحمل اعترافًا بقدراتك .. استدعاء من المخابرات العلمية .

اختطف الورقة منها ، واتسعت عيناه ، وهو يقرأ عباراتها القصيرة الموجزة ..

كان بالفعل استدعاءً رسميًا ، يحمل اسمه ، ويطالبه بالاستعداد للسفر فورًا إلى الجمهورية الجزائرية ..

وإلى مرتفعات (تاسيلى) بالتحديد ..

★ ★ ★

الموت آت لاريب ..

هذه هى العبارة الوحيدة ، التى ترددت فى عقل (نور) ، فى تلك اللحظة ، وهو سجين فى ركن الحجرة ، ينتظر هبوط حد السيف على رأسه فى أية ثانية ..

وفى أعماقه تفجرت أقوى غريزة يعرفها الجسم البشرى ..

غريزة البقاء ..

وبسرعة مدهشة ، رفع (نور) مسدسه أمامه ، وأطلق أشعته بكل طاقتها وقوتها ..

أطلقها مرة ، ومرة ، ومرة ..

وفجأة ، انبثقت الدماء أمامه من الفراغ ..

ثم ظهر جسد العملاق ..

ظهر تدريجيًا ، وبسرعة ، وهو يتراجع فى ألم ، والدماء تنزف من عنقه ، وصدره ، وبطنه ..

ثم سقط السيف ..

سقط ليرتطم بأرضية الحجرة ، فى دوى قوى وعنيف ، بين ساقى (نور) مباشرة ..

وفى بطء ، استدار العملاق إلى الزهرة ، وجرَّ قدميه جرًا نحوها ، وانحنى ليلتقط ناقوسها الزجاجى ، على الرغم من إصاباته ، فصاح به (نور) :

ـ لا تلمسها ، أو أطلق النار مرة أخرى .

ولكن العملاق تجاهل قوله تمامًا ، والتقط الناقوس الزجاجى ، وضمه إلى صدره فى عناية ..

وفى اللحظة نفسها ، اقتحم رجال الأمن المكان ، واتسعت عيونهم فى دهشة وتوتر لمرأى العملاق ، ثم ارتفعت فوهات أسلحتهم إلى صدره ، وصاح (نور) :

ـ لا .. لا تطلقوا النار .. إنه يحمل الزهرة .

ولكن صيحته جاءت متأخرة ..

لقد أطلقوا نيرانهم بالفعل ..

ولكن رد فعل العملاق جاء مدهشًا ..

لقد احتوى الناقوس الزجاجى ، الذى يحوى الزهرة ، وضمه إلى صدره فى قوة ، كأم تضمّ وليدها إليها ، فى مواجهة الخطر ، واستدار يواجه الطلقات بجسده ..

واخترقت النيران جسد العملاق ..

اخترقته فى مواضع عديدة ، دون أن يتخلى لحظة واحدة عن الزهرة ..

ولكن إحدى الطلقات اخترقت جسده ، وأصابت الناقوس الزجاجى ، ونسفته نسفًا ..

وطارت الزهرة فى الهواء ..

وعلى الرغم من إصاباته ، التى لا حصر لها ، وثب العملاق نحو الزهرة ، وهو يطلق صرخة هائلة ، ارتجفت لها قلوب الجميع ..

ومع تلك الارتجافة ، انطلقت النيران مرة أخرى نحو العملاق ..

وهوى العملاق ..

هوى جثة هامدة ، عند قدمى (نور) ..

وسقطت الزهرة أيضًا ..

وفى هذه المرة ، كان (نور) هو الذى وثب من مكانه ، والتقط الزهرة ، وحماها بكفيه فى رفق ، حتى لا ترتطم بالأرض ..

ولكن فجأة ، اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدّق فى الزهرة ، ويسأل نفسه ..

هل سمع ذلك الصوت بالفعل ؟!..

هل سمع الصوت الخافت ، الذى أصدرته الزهرة ، وهى تستقر بين أصابعه ؟..

وأنبأه عقله بالإيجاب ..

لقد أطلقت الزهرة بالفعل صوتًا عجيبًا ..

صوت أنين بشرى ..

★ ★ ★

« مستحيل يا (نور) ! .. »

هتف الدكتور (ناظم) بالكلمة فى إصرار ، وهو يواجه (نور) ، الذى أجابه فى إصرار مشابه :

ـ بل هذا ما حدث يا دكتور (ناظم) .. لقد سمعت الأنين بنفسى .

لوّح الدكتور (ناظم) بذراعه كله ، وهو يقول :

ـ قلت لك مستحيل !.. ما سمعته مجرّد وهم .. أو هو صوت ذلك العملاق وهو يحتضر ، قبل أن ينفجر جسده ، كما حدث لزميله السابق .

قال (نور) فى حزم :

ـ كلّا يا دكتور (ناظم) .. لقد لقى العملاق مصرعه بالفعل ، ثم انفجر جسده ، وتحوّل إلى دماء وأشلاء ، مازال بعضها يلوّث ثيابى ، ولكنه لم يطلق أنينًا واحدًا .. الزهرة هى التى أطلقت الأنين .

عاد الدكتور (ناظم) يكرّر فى حزم :

ـ مستحيل يا (نور) !.. الزهرة مثل كل النباتات .. لا تحوى جهازًا عصبيًا مركزيًا ، يمكنه أن يطوّر حاسة رئيسية مثل الكلام .. ما سمعته هو حتمًا أنين ذلك العملاق .

هزّ (نور) رأسه فى حزم ، وقال :

ـ لم يكن أنين العملاق حتمًا ، ولسبب بسيط للغاية .

صمت لحظة ، وتطلّع إلى عينى الدكتور (ناظم) مباشرة ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

ـ لقد كان أنينًا أنثويًا .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يكرّر :

ـ أنثويًا ؟!

هبط جسده فى بطء ، ليستقرّ على مقعده ، خلف مكتبه الكبير ، وحكّ ذقنه لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ (نور) .. أنت تجعل الأمر أكثر تعقيدًا .

جلس (نور) على المقعد المقابل للمكتب ، وهو يقول :

ـ ثم إننى أختلف معك كثيرًا ، فى أمر النباتات ، فلقد قرأت فى طفولتى بحثًا علميًا ، يؤكد أن النبات يحسّ ويتألم ، ويستجيب للمؤثرات الخارجية ، فما الذى يمنع وجود جهاز عصبى داخله ، يختلف عن جهازنا العصبى ، ولكنه يمكن أن يتطوّر ، ليحوز يومًا حاسة سمع أو كلام ؟[*] .

مطّ الدكتور (ناظم) شفتيه ، وقال :

ـ هذا لم يثبت علميًا بعد .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ ولكن دعنا من هذا الآن ، واسمعنى جيدًا .. هذا العملاق ، الذى حاول سرقة الزهرة ، والذى لقى مصرعه ، وانفجر ، هو نسخة طبق الأصل من الآخر ، الذى هاجم طائرتى بعد سقوطها .

قال (نور) :

ـ لقد لاحظت هذا .. نفس الزى والحذاء ، و ...

قاطعه الدكتور (ناظم) :

ـ أقول لك : نسخة طبق الأصل ، وعندما أنطق هذه العبارة ، فأنا أعنى كل حرف منها .. هذا العملاق كان نسخة طبق الأصل من

(*) فى عام ١٩٦٦ م ، أثبت (كليف باكستر) ، خبير أجهزة كشف الكذب ، فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، أن النبات يبدى استجابات عصبية ، يمكن تسجيلها بوساطة رقائق خاصة ، فى حالات الخوف والقلق والجوع ، وحتى فى أثناء النمو .

العملاق الآخر ، فى هيئته ، ونظرته ، وملامحه .. فى كل خلجة من خلجاته .. كانا أكثر تطابقًا من توءمين متماثلين[*] .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إلى هذا الحد ؟!

التفت الدكتور (ناظم) إلى الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـ بل أكثر من الحدّ الذى تتصوّره .

ضغط أزرار الكمبيوتر بسرعة ، مستطردًا :

ـ لقد أرسلت الأشلاء ، التى تبقّت من ذلك العملاق ، الذى انفجر عند مرتفعات (تاسيلى) ، إلى معاملنا ، لعمل رسم جينى لخلاياه ، وما تراه على الشاشة الآن هو التحليل الجينىّ له ، أو ما يطلق عليه اسم (البصمة الجينية) ، إذ أنه من المستحيل أن يتشابه إثنان فى بصمة جينية واحدة .

غمغم (نور) :

ـ أعلم هذا .

ضغط الدكتور (ناظم) أزرار الكمبيوتر مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ حسن .. عندما انفجر العملاق الآخر هنا ، ورأيت تماثله مع الأوّل ، طلبت من رجالى عمل تحليل جينى آخر لأشلائه ، وها هى ذى بصمته الجينية ، تظهر إلى جوار الأولى .

قارن (نور) بين البصمتين الجينيتين بسرعة ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ إنهما متماثلتان تقريبًا .

(*) التوائم المتماثلة ، هى التى تنتج من انقسام مضاعف لخلية أولية واحدة مخصّبة .

ضغط الدكتور (ناظم) زرًا آخر ، وهو يقول فى حسم :

ـ ليس تقريبًا .. بل تمامًا .

تحرك الرسمان على الشاشة ، إثر ضغطة الزر ، وتطابقا فى رسم واحد تمامًا ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ يعنى أن هذين العملاقين أتيا من منشأ واحد .. أو باختصار ..

ومال أكثر ، مضيفًا فى حزم :

ـ من مصدر جينى واحد .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يتمتم :

ـ أتقصد أنهما نتاج عملية تلقيح لا جنسية ؟!

تراجع الدكتور (ناظم) ، قائلاً فى حسم وارتياح :

ـ بالضبط .

صمت (نور) لحظات ، والدهشة تمتزج بالتوتر فى ملامحه ، قبل أن يهبّ واقفًا ، وهو يقول :

ـ إنه أمر خطير للغاية .

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ بالتأكيد .. إننا نواجه خبيرًا فى هندسة الوراثة وعلم الجينات ، وأستاذًا فى علم التزاوج اللاجنسى ، ولكن هذا الخبير يجرى تجاربه فى سرية تامة ، وبشكل مخيف ، ولهدف مجهول ومقلق .

قال (نور) فى حسم :

ـ بل قل : لهدف خطير حاول (على ثابت) تحذيرنا منه ، عندما أشار إلى تاريخ الأرض ومصيرها .

عقد الدكتور (ناظم) كفيه أمامه ، وقال :

ـ وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا ، لكشف هذا الهدف ، ومنع حدوث ما يرمى إليه .. وفى رأيى أن الحل كله يكمن فى شىء واحد .

التفت إليه (نور) ، وهو يقول :

ـ نعم .. فى زهرة .

ونقل بصره إلى جهاز مراقبته ، ينقل صورة واضحة لمعمل أبحاث النبات ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ الزهرة السوداء .

وسرت فى جسد الدكتور (ناظم) قشعريرة قوية .

★ ★ ★



٥ ـ المهمـــة ..

بدأ ذلك الصباح باردًا ممطرًا ، على عكس اليوم السابق ، وغابت الشمس خلف غيوم كثيفة ، حجبت ضوءها ودفأها ، ووجدت (سلوى) نفسها ترتجف ، وهى تتطلع عبر النافذة إلى الأمطار ، على الرغم من جهاز التدفئة المركزية داخل الحجرة ، وقالت :

ـ بررر .. الجو يبدو قارص البرودة هذا الصباح .

قال (نور) ، وهو يرتشف الشاى الساخن فى بطء :

ـ هذا الشتاء متقلّب أكثر من المعتاد .

هزّت كتفيها ، وقالت :

ـ الطقس كله يزداد سوءًا ، مع مضى السنين .

ثم اتخذت مجلسها إلى جواره ، والتقطت قدح الشاى الخاص بها ، وهى تستطرد :

ـ هل اتصل بك الدكتور (ناظم) ، بشأن تلك الزهرة ؟

أجابها (نور) :

ـ سيفعل عندما يجدّ جديد .

تنهّدت وقالت :

ـ هذه الزهرة تخلب لبى أحيانًا ، وتثير خوفى فى أحيان أخرى .

شرد ببصره لحظة ، وهو يقول :

ـ هناك سر غامض ، يختفى خلف هذه الزهرة ، وأظن أن ..

قاطعه فجأة رنين جرس الباب ، فنهض ليرى من الطارق ، وهو يقول فى دهشة :

ـ عجبًا !.. من يفكّر فى زيارتنا ، فى هذا المناخ الردىء .

ضغط زر الاستعلام ، ثم أطلق صيحة دهشة .. جعلت (سلوى) تسأله فى لهفة :

ـ من القادم ؟

أسرع يفتح الباب ، وهو يغلق شاشة الاستعلام ، هاتفًا :

تفضّل يا (أكرم) .. تفضّل يا رجل .. إنك تحمل مظلة عادية ، لا تكفى لدرء كل هذا المطر .

دلف (أكرم) إلى المنزل بسرعة ، وابتسم وهو يطوى مظلته ، قائلاً :

ـ أنا أميل إلى الوسائل القديمة .

ابتسمت (سلوى) ، وقالت :

ـ إنها سمة شخصيتك .. هيا .. اخلع معطفك ، وسأعدّ لك قدحًا من الشاى الساخن ، ليبعث الدفء فى أطرافك .

قال فى بساطة :

أشكرك يا سيّدتى .. إننى هنا لمهمة محدودة وسريعة ، ولست أظنها تستغرق الوقت الكافى لتناول قدح الشاى الساخن .

أشعلت عبارته فضولها ، فتوقّفت تسأله :

ـ مهمة محدودة وسريعة .. ما هى بالضبط ؟

قال فى حزم مباغت :

ـ ها هى ذى .

وبسرعة مدهشة ، أخرج من معطفه مسدسًا تقليديًا قديمًا ، صوّبه إلى (نور) ، و ...

وشهقت (سلوى) فى ذعر ..

★ ★ ★

تململ الدكتور (ناظم) فى وقفته ، داخل حجرة التعقيم ، التى تفصل ما بين أروقة الإدارة ومعامل الأبحاث ، وغمرته الأشعة فوق البنفسجية لحظات ، قبل أن تتألق لوحة الأمان ، وينفتح باب المعامل ، فأسرع يجتازه فى خطوات واسعة ، وخلع سترته ليرتدى معطفه الأبيض ، ثم اتجه مباشرة إلى قسم أبحاث النبات ، وسأل أحد العلماء هناك :

- هل من جديد ؟

- أشار العالم إلى الزهرة السوداء ، التى استقرت داخل إناء خاص ، وقال :

- هذه الزهرة لم تحصل على قطرة ماء واحدة ، منذ صباح أمس ، وعلى الرغم من هذا ، فها هى ذى كما تراها ، مشرقة متألقة يانعة ، وكأنك قطفتها منذ لحظات .

تطلع الدكتور (ناظم) إلى الزهرة فى حيرة ، ثم سأل :

- وماذا عن الجينات العجيبة ؟

أجابه الرجل :

- إنها ليست جينات نباتية ، بل تبدو كأنها جينات متحورة ، بفعل إشعاع نووى ، أو تدخل جراحى مجهرى ، ونحن نجهل طبيعتها بالضبط ، على الرغم من فحصها بالمجهر الإليكترونى والأيونى .

قال الدكتور (ناظم) :

- دع هذه المهمة للكمبيوتر .

أومأ العالم برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا ما استقر عليه رأينا جميعًا .. لقد نقلنا كل الصور

والمعلومات والنتائج إلى الكمبيوتر ، وهو سيبلغنا ما لديه ، بعد تحليل كل هذا .

سأله الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- ومتى سيفعل ؟

أجابه العالم ، وهو يشير إلى الكمبيوتر :

- الآن .

نقل الدكتور (ناظم) بصره بسرعة إلى الكمبيوتر ، ورأى أرقام وكلمات تتراص فوقه بسرعة مدهشة ، وباللغتين العربية والإنجليزية ، ثم راحت بعض الرموز والرسوم تتكون ، ثم تتلاشى ، مما يشير إلى أن الكمبيوتر يراجع كل ما لديه على هذه المعلومات الجديدة ..

وأخيرًا توقف كل هذا ، واستقرت عبارة واحدة على الشاشة ..

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ذهول ..

بل اتسعت عيون الجميع ..

كانت النتيجة التى توصل إليها الكمبيوتر مستحيلة تقريبًا ، حتى أن أحد العلماء هتف مأخوذًا ومبهورًا :

- مستحيل !.. لا يمكننى تصور هذا أبدًا .

وفغر الثانى فاه ، وهو يردد :

- إنها .. إنها ..

قبل أن ينطقها ، انطلقت صفارات الإنذار فجأة ، وراحت تدوى فى المكان كله ، وانبعث فى كمبيوتر الأمن صوت معدنى ، يردد عبارة مسجلة :

ـ إنذار .. إنذار .. اختراق غير قانونى لساتر الأمن .. خلل فى نظم التعقيم .. إنذار .. إنذار .

التفت الجميع إلى ذلك الباب ، الذى يفصل المعامل عن حجرة التعقيم ، وهتف الدكتور (ناظم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هوت صاعقة على الباب ، ونسفته نسفًا ..

ثم برز العمالقة ..

خمسة من العمالقة المتماثلين ، اقتحموا المعامل بعنف مخيف ..

خمسة يبدون من تطابقهم ، وكأنهم خمس صور لشخص واحد ..

نفس الشخص الذى هاجم حطام الطائرة ..

ونفس الشخص الذى حاول قتل (نور) وسرقة الزهرة ..

وارتفعت الفوهات الواسعة لأسلحة العمالقة ، فى وجوه الجميع ..

وانطلقت الصواعق تقتلع كل شىء ، وتنسف كل شىء ..

وكانت مذبحة رهيبة ..

وانطلق الدكتور (ناظم) يعدو ، محاولا بلوغ باب الأمن الخلفى ، وهو يصرخ :

ـ كيف وصلوا إلى هنا ؟! .. أين رجال الأمن ؟

ومع آخر حروف عبارته ، هوت صاعقة على باب الأمن ، ونسفته ، وألقته هو بعيدًا فى عنف ، والدماء تنزف من جرح فى صدره ..

وسالت الدماء أنهارًا ..

وسقط بعض العلماء صرعى ..

وأصيب البعض الآخر بإصابات متفاوتة ..

ثم وصل رجال الأمن ..

وعند هذه النقطة ، تحوّلت المذبحة إلى حرب ..

حرب شعواء ..

★ ★ ★

ارتجفت (سلوى) فى ذعر ، عندما رأت (أكرم) يصوّب مسدسه إلى (نور) ، وهتفت فى ارتياع شديد :

ـ (أكرم) !.. هل جننت ؟!

أما (نور) فقد ظلّ هادئًا ، صامتًا ، يتطلّع مباشرة إلى عينى (أكرم) الذى قال :

ـ هذا كل ما أجيده .

لم تفهم (سلوى) عبارته فى البداية ، ولكنها تنفست الصعداء ، عندما رأته يقلب مسدسه ، ويناول مقبضه إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ أنا كما قلت عنى تمامًا .. همجى وبدائى .. ولكننى لست غبيًا أو متخلفًا .. إننى أستخدم أحدث أجهزة الكمبيوتر ، وأقود سيارة صاروخية ، وأتابع التقدّم العلمى فى كل المجالات ، ولكن إذا ما جدّ الجدّ ، وحانت لحظة القتال ، فأنا أفضل الوسائل القديمة .

تمت (نور) فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ولهذا السبب بالتحديد ، رفضت المخابرات العلمية انضمامى إليها ، فلماذا عادت تطلبنى للعمل تحت قيادتك .

قال (نور) فى بساطة :

ـ لقد استخدمت حقى القانونى .

هتف فى حدة :

ـ أى حق هذا ؟.. حق العبث بمشاعر الآخرين ؟.

تطلّع إليه (نور) لحظةً فى صمت ، ثم أعاد إليه مسدسه ، وهو يقول :

ـ انزع معطفك واجلس يا (أكرم) ، فالحديث بيننا سيطول .

وأشار إليه بالجلوس ، وهو يلتفت إلى زوجته ، مستطردًا بابتسامة لطيفة :

ـ لا أعتقد أن صديقنا (أكرم) سيمانع الآن ، بشأن اقتراحك الخاص بقدح الشاى الساخن يا عزيزتى .

هتفت مفرغة توترها ، وهى تسرع إلى المطبخ :

ـ آه .. بالتأكيد ..

تردَّد (أكرم) فى نزع معطفه ، وقال فى توتر ، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه :

ـ يمكننا أن نتحدّث دون أن نجلس .

ابتسم (نور) فى مودّة ، وهو يقول :

ـ إننى أفضّل الجلوس .

تردَّد (أكرم) لحظة أخرى ، ثم نزع معطفه ، وعلّقه على المشجب المجاور للباب فى عناية ، ثم جلس على المقعد المقابل لمقعد (نور) ، قائلاً :

ـ حسن .. ماذا لديك ؟

أجابه (نور) على الفور :

ـ فى البداية ، ينبغى أن تعلم أن ذلك الاستدعاء ، الخاص بانضمامك إلينا ، فى العمليّة القادمة ، يختلف عن عقد العمل المعروف ، ولهذا فلا تعارض بينه وبين رفض انضمامك الرسمى إلى المخابرات العلميّة .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ حقًا !.. يا لذكاء القانون !

واصل (نور) دون أن يبالى بالعبارة :

ـ قانون المخابرات العلمية يضع قواعد وأعرافًا خاصة ، بالنسبة لمن يتمّ قبولهم كأعضاء دائمين فى الجهاز ، ولكنه فى الوقت ذاته ، يمنح قائد أى فريق ، الحق فى الاستعانة بأى شخص ، من داخل أو خارج الجهاز ، وضمه إليه بصفة مؤقتة ، لو أنه يرى أن وجود هذا الشخص ، قد يفيد فى نجاح العملية .

قال (أكرم) فى سخرية غاضبة :

ـ وفيم يفيدك شخص همجى وبدائى ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ فى مهمة تحتاج إلى شخص همجى وبدائى .

تطلّع إليه (أكرم) لحظات فى حيرة ، ثم قال فى حدة :

ـ ألغز هو ؟!

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ يمكنك اعتباره كذلك .

وصلت (سلوى) فى هذه اللحظة ، وهى تحمل قدح الشاى ، وتقول فى كلمات سريعة ، تحمل شيئًا من اضطرابها للموقف :

- ها هو ذا الشاى .. لقد أضفت إليه قطرة من مادة (الريلاكسين) الجديدة ، لتقهر عصبيتك الزائدة ، و ...

انتفضت فجأة ، مع ذلك الأزيز المتصل المباغت الذى ملأ المكان ، وانسكب بعض الشاى من القدح ، فى حين هبّ (نور) واقفًا ، وهو يقول :

- يا إلهى !.. الاتصال المباشر ؟!.. لابد أن هناك حدث جلل .

وقفز يختطف سترته ، مستطردًا :

- معذرة يا (أكرم) .. أنا مضطر للانصراف فورًا .

سأله (أكرم) فى حماس ، وهو يختطف معطفه بدوره :

- هل يمكننى مصاحبتك ؟

قال (نور) بسرعة :

- ولِمَ لا ؟.. يمكننا اعتباره تدريبًا .

ولم تمض لحظة واحدة على هذا القول ، حتى كان الاثنان ينطلقان نحو مقرّ قيادة المخابرات العلمية ..

وبأقصى سرعة ..

★ ★ ★

كانت المعركة عنيفة ..

ومخيفة ..

لقد اقتحم رجال أمن مبنى المخابرات العلمية منطقة المعامل ، وراحوا يطلقون نيرانهم على العمالقة الخمسة ، الذين أطلقوا صواعقهم بدورهم ..

ودوت الانفجارات فى الجانبين ..

وفى حجرة مكتبه الخاصة ، هتف القائد الأعلى ، وهو يراقب الموقف :

- يا للمهزلة !.. كيف ينجح خمسة من العمالقة ، فى الوصول إلى منطقة الأبحاث ، دون أن ترصدهم أجهزة الأمن ؟!.. هذا الأمر يحتاج إلى تحقيق عاجل وحازم .

قالها واحتبست أنفاسه ، وهو يشاهد على شاشته الراصدة أحد العمالقة ، وقد أصابته نيران رجال الأمن ، فهوى وهو يطلق صرخة مخيفة ، وصاعقة من مسدسه على أحد الأركان ..

ونسفت الصاعقة ذلك الركن نسفًا ، وحطمت آلات علمية معملية ، يربو ثمنها على خمسة ملايين جنيه ..

وسقط عشرة من رجال الأمن صرعى ..

وأصيب ضعف هذا العدد ..

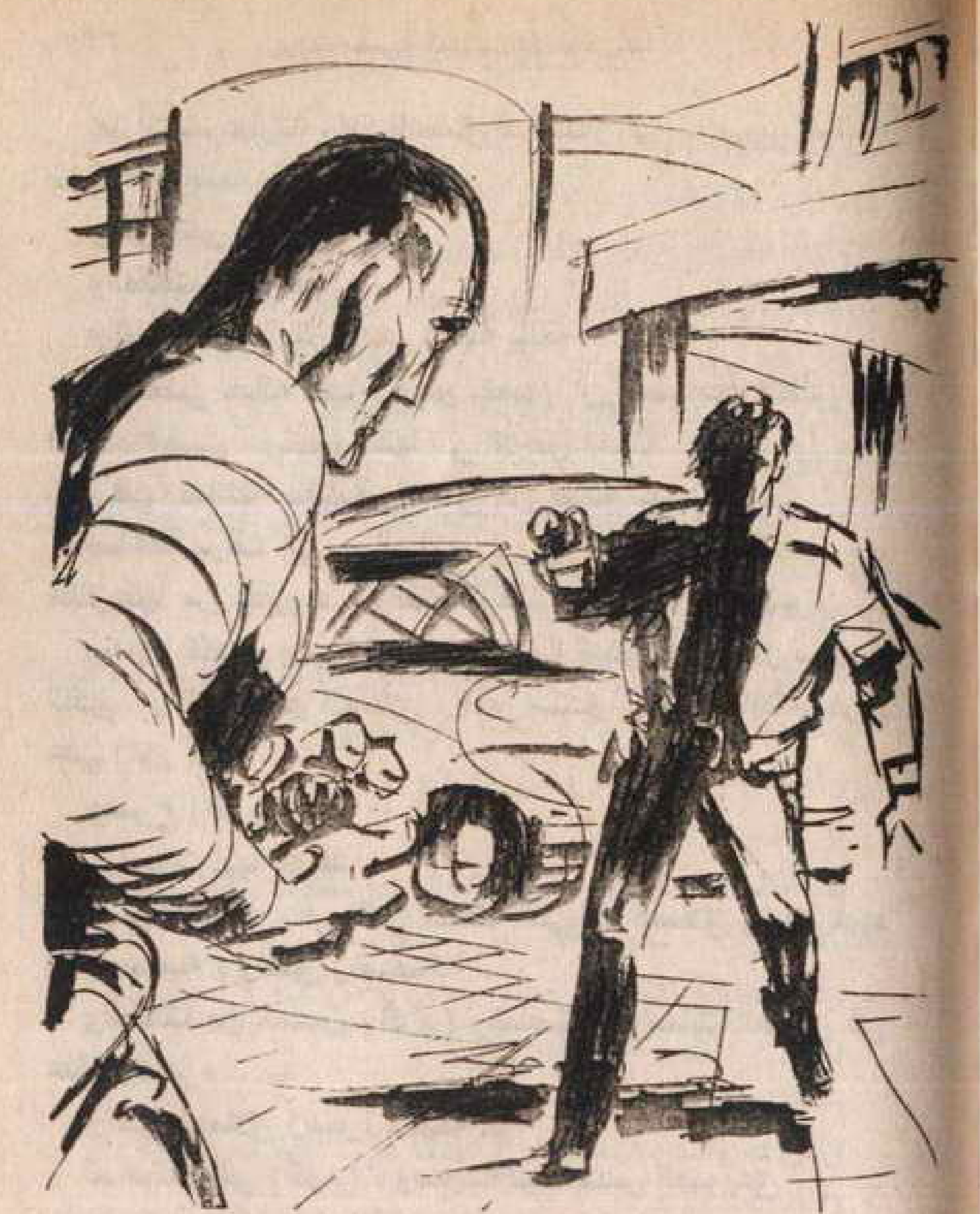
وهوى ثلاثة من العمالقة ..

وانفجروا ..

كان مشهدًا بشعًا بحق ، والأشلاء والدمار تتناثر فى كل مكان ، وتلطّخ الجدران والأجساد ، وآلات الرصد ..

وشقّ العملاقان الباقيان طريقهما فى استماتة ووحشية ، وانتبه القائد الأعلى إلى أن أحدهما يحمل الزهرة السوداء ، فهتف عبر أجهزة اتصاله الخاصة :

- لقد استوليا على الزهرة .. امنعوهما من مغادرة المكان .. امنعوهما بأى ثمن .



لم يسمع جوابًا من (نور) ، ولكنه رآه يثب فى السيارة ، ويعدو نحو العملاق الأخير ، ويصوِّب إليه مسدسه ..

كثف رجال أمن المبنى جهدهم ؛ فى محاولة لمنع العملاقين من الفرار بالزهرة السوداء ، ولكن أحد العملاقين ضمّ وعاء الزهرة إلى صدره فى قوة ، فى حين راح الآخر يطلق صواعقه حوله فى وحشية ، لا مثيل لهما ..

حتى اقتربا من البوابة الخارجية ..

ومع اقترابهما ، استمات رجال الأمن فى الدفاع عن الزهرة ، على الرغم من الصواعق المدمِّرة ، التى تهوى على رءوسهم ، وتنتزع منهم قتيلاً أو جريحًا ، فى كل لحظة تمضى ..

ولكنهم نجحوا إلى حد ما ..

لقد أصابت نيرانهم العملاق المقاتل فى أكثر من موضع ، ونسفت رأسه ، ومزّقت صدره ، و ...

وانفجر ..

انفجر بغتة هذه المرة ، كما لو كان قنبلة موقوتة ..

ومع انفجاره ، بلغ العملاق الأخير بوابة المبنى ..

وتجاوزها إلى الخارج ..

وفى اللحظة نفسها ، وصل (أكرم) و (نور) ، فى سيارة هذا الأخير ، الذى هتف :

- يا إلهى !.. إنهم يسرقون الزهرة ..

ردّد (أكرم) فى دهشة :

- أية زهرة ؟

لم يسمع جوابًا من (نور) ، ولكنه رآه يثب فى السيارة ، ويعدو نحو العملاق الأخير ، ويصوِّب إليه مسدسه ، هاتفًا :

- اتركها ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، كان العملاق قد استدار إليه ، وصوّب مسدسه بفوهته الواسعة ، و ...

وقفز (نور) جانبًا ..

وانطلقت الصاعقة ..

واتسعت عينا (أكرم) في دهشة بالغة ..

لقد قضى حياته كلها ، وهو يتصوّر أن الصواعق تنطلق في السماء فحسب ، وتهوى منها إلى الأرض أحيانًا ، ولكنها أوّل مرة يرى فيها صاعقة حقيقية ، تنطلق من فوهة مسدس صغير ..

صاعقة مرقت إلى جوار (نور) ، وارتطمت بشجرة صغيرة ، فانتزعتها من جذورها ، وألقتها أرضًا ، وأشعلت فيها النيران ..

وبدون تفكير ، وثب (أكرم) من السيّارة بدوره ، واستلّ مسدسه القديم ، وانطلق نحو العملاق ، الذى استدار ليطلق صاعقة أخرى على (نور) ..

وصرخ (أكرم) :

ـ خسرت أيها الوغد .

ثم توقّف بغتة ، فى نفس اللحظة التى كاد العملاق يضغط فيها زناد مسدسه ، وأطلق رصاصاته ..

وانطلقت من مسدس (أكرم) رصاصتان ، أصابتا العملاق فى عنقه وصدره ..

وأطلق العملاق زمجرة مخيفة ..

ثم استدار إلى (أكرم) ، وصوّب إليه مسدس الصواعق ، و ...

ولم يتردّد (أكرم) لحظة واحدة ، بل ضغط زناد مسدسه ، وترك رصاصاته تخترق رأس العملاق ، وحنجرته ، وقلبه ..

وصرخ (نور) :

ـ لا .. لا تقتله .

ولكن العملاق انفجر بغتة مع مسدسه ..

انفجر فى مشهد أكثر بشاعة ، من كل المشاهد السابقة ..

وتراجع (أكرم) فى سرعة ، ولكن الدماء والأشلاء ، ارتطمت به فى قوة ، ولوّثت وجهه ومعطفه ، فصاح فى حنق :

ـ اللعنة !

أما (نور) ، فقد تعلّق بصره بالزهرة ، التى طارت مع انفجار جسد العملاق ، وهوت نحو الأرض ..

وقفز (نور) نحو الزهرة ..

قفز فى مشهد مرن عجيب ، بدا للآخرين أشبه بلقطة يتمّ عرضها بسرعة بطيئة ، فى مباراة هامة لكرة القدم ..

والتقط (نور) الزهرة فى الهواء ..

أو كاد ..

لقد أفلتت منه بجزء من السنتيمتر ، وسقطت أرضًا ، ثم انزلقت لمسافة طويلة ، نحو بوّابة مبنى المخابرات ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلق رجال الأمن خارج المبنى ..

وصرخ (نور) فى ارتياع :

ـ احترسوا .

ولكن صرخته ذهبت سدى ، عندما هوت أقدامهم الثقيلة ، و ...

وانسحقت الزهرة ..

الزهرة السوداء ..

★ ★ ★

٦ ـ الخدعة الكبرى ..

بدا القائد الأعلى مصدومًا ، وهو يدير عينيه فى الخراب والدمار ، اللذين أصابا قسم الأبحاث ، فى حين هزَّ قائد الأمن الداخلى رأسه فى أسف ، وهو يقول :

ـ لقد دمروا كل شىء .. حطموا آلات وأجهزة ، يربو ثمنها على مليار جنيه .

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ الآلات والأجهزة يمكن تعويضها .. المهم البشر .. ماذا عن الخسائر البشرية ؟!

أجابه قائد الأمن فى مرارة :

ـ فادحة .. لقد لقى ستون فى المائة من علماء قسم النبات حتفهم ، وأصيب ثلاثون فى المائة بإصابات تختلف فى حدتها ، من خطيرة إلى مقبولة ، أما العشرة فى المائة الباقون ، فيعانون من صدمات نفسية عنيفة .

سأله القائد الأعلى :

ـ وماذا عن الدكتور (ناظم) ؟.. إلى أى قسم ينتمى ؟

أجابه قائد الأمن ، وهو يشير إلى رجلى إسعاف ، يحملون جسدًا فوق نقَّالة بدائية :

ـ إلى القسم الثانى .. إصابته كبيرة ، ولكنها ليست بالغة الخطورة .

أسرع القائد الأعلى إلى الدكتور (ناظم) ، ورأى الضمادات التى

تغطى صدره ، والتى ظهرت فى منتصفها بقعة دم كبيرة ، فانحنى يسأله فى إشفاق :

ـ دكتور (ناظم) .. كيف حالك ؟

ردَّد الدكتور (ناظم) ، فى صوت أشبه بالهمس ، من شدة الضعف :

ـ إنها كارثة .. لقد حطموا كل شىء .. ولكن الزهرة .. الزهرة .

ربَّت القائد الأعلى على كتفه مهدِّئًا ، وهو يقول :

ـ الزهرة غير موجودة ، ولست أعرف شيئًا عن مصيرها بعد .

حاول الدكتور (ناظم) أن يشير بسبَّابته ، وهو يتمتم :

ـ إنها ليست زهرة عادية .. إنها .. إنها ..

ارتجفت شفتاه ، وعجز عن إتمام عبارته ، وسقطت يده إلى جواره ، فعاد القائد الأعلى يربِّت عليه ، هامسًا :

ـ لا تبذل جهدًا يا دكتور (ناظم) .. اطمئن .. سيعتنى بك فريق أطبائنا فى القسم العلاجى الخاص ، الذى يضم أفضل الأطباء البشريين .

ردَّد الدكتور (ناظم) فى تهالك :

ـ بشر .. بشر ..

لم يستطع إتمام عبارته ، والغيبوبة تطبق عليه من كل جانب فى قسوة ، ثم هوى فجأة فى غيبوبة عميقة ..

وبلا قرار ..

* * *

- أنت مخطئ يا (أكرم) ..

صرخ (نور) بالعبارة فى غضب، فى وجه (أكرم)، فأدار هذا الأخير مسدسه فى يده، كما يفعل رعاة الأبقار، ثم دسّه فى جيب معطفه، وهو يقول:

- بالطبع .. لقد أخطأت تمامًا .. لم يكن ينبغى أبدًا أن أطلق النار أو أقتله .. كان المفروض أن أستوقفه، وأطلب منه بلهجة مهذبة ألّا يقتلك، ثم أدعوه للجلوس على مائدة المفاوضات، وتدور بيننا الأبحاث، والمناقشات لعامين أو ثلاثة، وبعدها يعود ليقتلك بشكل قانونى هذه المرة.

صاح به (نور):

- كفى سخرية .. لقد طلبت منك ألا تقتله، ولكنك أطلقت رصاصاتك نحوه.

قال (أكرم):

- كان من الضرورى أن أفعل، فأنت لم تطلب منه ألّا يقتلنى بدوره.

قال (نور) فى غضب:

- يا للذكاء !.. هل تظن نفسك بارعًا وذكيًا، بمخالفتك لكل الأوامر ؟.. ألا تدرك ما سببه إصرارك وعنادك .. لقد قتلت الزهرة، التى تحمل التفسير الوحيد لما يواجهه العالم كله .. أنت تسببت فى قتلها.

عقد (أكرم) ساعديه أمام صدره، وهو يقول:

- تقصد فى كسرها.

ارتجت الكلمة فى رأس (نور) فى قوة، فأدار عينيه فى سرعة إلى حيث الزهرة المسحوقة، ثم التقى حاجباه فى شدة ..

(أكرم) على حق إذن ..

لقد انكسرت الزهرة ..

وبخطوتين واسعتين، بلغ (نور) موضع الزهرة، وانحنى يلتقط الأجزاء المحطمة، وسرت فى جسده قشعريرة غاضبة، وهو يهتف:

- يا للأوغاد !

اقترب منه (أكرم)، وسأله:

- أليست هذه هى الزهرة، التى كدت تلقى مصرعك دفاعًا عنها ؟!.. إنها تحفة جميلة من الخزف، ولكن ..

قاطعه (نور) فى سخط:

- لقد خدعونا.

قال (أكرم) فى دهشة:

- خدعونا ؟!.. ماذا تعنى ؟

أجابه (نور) فى حنق:

- الزهرة التى أقصدها زهرة طبيعية .. ذات لون أسود ولكنها طبيعية، ولقد جعلونا نتصوّر أن ذلك العملاق يحمل الزهرة، ودفعونا للاشتباك معه، حتى يَمكن الآخر الفرار بالزهرة الحقيقية .. ولقد ظفروا بما يبتغون.

قال (أكرم) فى حيرة:

- ولكننا قضينا على آخر العمالقة، كما يقولون.

قال (نور) ، وهو يتلفت حوله :

ـ هناك عملاق سادس .. عملاق خفى .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتمتم :

ـ سأحاول الفهم .

قال (نور) ، وهو يعدو نحو سيارته :

ـ لا وقت لهذا .. من المؤكد أن ذلك العملاق السادس لم يبتعد كثيرا ، ولست أظنه يستطيع إخفاء نفسه طويلا .

تبعه (أكرم) ، وهو يسأله :

ـ ولماذا استنتجت هذا ؟!

أجابه (نور) :

ـ لقد هاجمت أحدهم من قبل ، بعد أن جعل نفسه مرئيا ، ليلتقط الزهرة ، ولو أنه يستطيع إخفاء نفسه طوال الوقت ، لما فعل هذا .

هتف (أكرم) ، وهو يتوقف فجأة :

ـ فهمت .

ثم أشار إلى هليوكوبتر صغيرة ، تقف فى ساحة مبنى المخابرات العلمية ، وهو يستطرد :

ـ فى هذه الحالة ، لن تكفى السيارة ، للعثور على عملاق مثله .

وأسرع نحو الهليوكوبتر ، فتبعه (نور) هذه المرة ، وراح يقول لحارس الهليوكوبتر فى صرامة :

ـ أفسح الطريق يا رجل .. إنها مهمة خاصة وعاجلة .

أفسح له الحارس الطريق بالفعل ، فقفز إلى مقعد القيادة ، ولحق به (نور) ، واحتل المقعد المجاور ، وهو يقول فى حدة :

ـ هل تظن أننا داخل لعبة طريفة ؟

ضغط (أكرم) أزرار التشغيل ، وأدار محرك الهليوكوبتر ، وهو يقول :

ـ أليست كذلك ؟!

ارتفعت الهليوكوبتر فى خشونة ، ومالت على نحو خطر ، قبل أن تعتدل ، وتنطلق بشكل عنيف ، فهتف (نور) :

ـ أين تعلمت قيادة الهليوكوبتر ؟!

أجابه (أكرم) :

ـ فى جبل (عتاقة) .. كانت هناك أحوال ضرورية ، جعلت الطيار الرسمى يقدم لى بعض الدروس فى فن القيادة .

قال (نور) :

ـ فن ؟!.. لا تقل هذا يا رجل .. إنك تسىء إلى كل قائدى الهليوكوبتر بهذا القول .. هيا .. سنتبادل مقعدينا ، وسأقود أنا الهليوكوبتر .

تبادلا مقعديهما فى سرعة ، وسيطر (نور) على الهليوكوبتر ، وانطلق بها نحو الغرب ، فسأله (أكرم) :

ـ لماذا تتخذ هذا الاتجاه بالذات ؟!

أجابه (نور) ، وهو يفحص ما حوله بعينيه فى سرعة :

ـ إنهم قادمون من مرتفعات (تاسيلى) ، وسيعودون إليها حتما .

قال (أكرم) :

ـ مرتفعات (تاسيلى) الليبية ؟!

أجابه (نور) :

- إنها جزائرية وليست ليبية ، فكلها تقع داخل حدود الجمهورية الجزائرية .

لوَّح بكفه ، قائلاً :

- وهل تظنّ أن هذه الهليوكوبتر ، يمكنها أن تنطلق حتى هناك ، أو أنها ..

قاطعه (نور) بغتة ، وهو يهتف :

- ها هو ذا .

استدار (أكرم) بسرعة ، إلى حيث يشير (نور) ؛ ورأى مركبة تشبه السيارات الصاروخية ، ولكنها أكبر حجمًا ، تنطلق على وسادة من الهواء ، فوق الصحراء الغربية ، وبسرعة مدهشة ، فهتف بدوره :

- إنه يتجه إلى الحدود الليبية .

انخفض (نور) بالهليوكوبتر ، وزاد من سرعتها ، وهو يقول فى حزم :

- ينبغى ألّا نسمح له بذلك .

أخرج (أكرم) مسدسه ، وأعاد حشو خزانته فى سرعة ، وهو يقول :

- لدى وسيلة مضمونة .

قال (نور) فى صرامة :

- هذا الرجل يحتفظ بالزهرة ، ولست أحب أن أخسرها .

ابتسم (أكرم) ، وقال :

- اطمئن .. أنا أجيد التصويب .

قالها وراح يطلق رصاصات مسدسه نحو المركبة الطائرة ، ولكن الرصاصات ارتطمت بالمركبة ، وارتدّت عنها فى عنف ، فعقد (أكرم) حاجبيه ، وقال :

- إنها مركبة مضادة للرصاص .

وفى نفس اللحظة ، دارت المركبة حول نفسها ، وبرز العملاق من نافذتها ، وهو يصوِّب مسدسه ، ذا الفوهة الواسعة إلى الهليوكوبتر ، فانحرف بها (نور) بسرعة ، وهو يقول :

- يبدو أننا سننتقل من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع .

كانت مناورته سريعة ومرنة ، ولكن الصاعقة انطلقت من مسدس العملاق ، وأطاحت بذيل الهليوكوبتر فى عنف ..

وارتجّت الهليوكوبتر فى قوة ، وراحت تدور حول نفسها عشوائيًا ، وصاح (أكرم) فى غضب :

- ستدفع الثمن أيها الوغد .

أراد أن يصوِّب مسدسه إلى المركبة ، على الرغم من هذه الظروف ، ولكن العملاق صوَّب مسدسه بدوره ..

وانطلق المسدسان ..

رصاصة وصاعقة انطلقا فى وقت واحد ..

ودوى الانفجار ..

انفجار الهليوكوبتر ..

★ ★ ★

٧ ـ الخســارة ..

أوقف الدكتور (حجازى) سيارته ، أمام مبنى المخابرات العلمية ، ووثب منها فى انفعال ، وهو يقول لحارس المبنى :

ـ هناك استدعاء عاجل لى .. أنا الدكتور (محمد حجازى) .

قال الحارس بسرعة :

ـ ومن يجهلك يا سيدى .. معذرة .. سنجرى اختبار الأمن أولاً .

لوَّح الدكتور (حجازى) بكفه ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. افعل يا رجل .. هذا حقك .

ضغط الحارس عدة أزرار ، وراح شعاع أزرق يجوس فى وجه الدكتور (حجازى) وكفيه وقزحيته ، ثم لم تلبث شاشة الأمن أن أضاءت ، وهى تحمل كلمة واحدة :

ـ سليم .

فتح الحارس الباب أمامه ، وهو يقول :

ـ لا تقلق بالاً لما ستجده أمامك ، من تدمير وتخريب ، فقد كانت هناك حرب طاحنة هنا ، منذ أقل من نصف الساعة .

قال الدكتور (حجازى) ، وهو يدخل إلى المبنى :

ـ لقد لاحظت هذا ، فالدماء والأشلاء تغطى الساحة كلها .

كان يتوقع شيئًا من الدمار ، إلا أنه لم يتمالك نفسه ، أمام ذلك الدمار الشامل الذى واجهه ، من أن يفغر فاه مبهوتًا ، ويهتف :

ـ يا للهول !.. إنها حرب بالفعل .

استقبله حارس آخر ، بدا عليه الضيق لعبارته ، وقال فى صرامة :

ـ دكتور (حجازى) .. القائد الأعلى ينتظرك فى مكتبه ، على وجه السرعة .

لم تمض دقائق ، على هذه العبارة ، حتى كان الدكتور (حجازى) يقف أمام القائد الأعلى ، الذى بادره قائلاً :

ـ تفضَّل يا دكتور (حجازى) .. نحن فى حاجة ماسة لخدماتك .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ وأنا رهن إشارتكم دائمًا .

قال القائد الأعلى :

ـ هذا ما توقعته .

ثم استطرد فى اهتمام متوتر :

ـ لقد فقدنا ما يقرب من سبعين فى المائة ، من علماء قسم أبحاث النبات ، بسبب الزهرة السوداء ، التى عثرنا عليها مع جثة (على ثابت) .. والأمور كلها تؤكد ، فى كل لحظة ، أننا أمام شىء بالغ الخطورة ، وربما يهدد الأرض كلها .. ويحتاج منا إلى أقصى طاقاتنا ، وقصارى جهدنا ، لدرئه ، ومنع ما يمكن أن يسببه .

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة وحماس :

ـ وما المطلوب منى بالضبط ؟

مال القائد الأعلى نحوه ، وهو يقول :

ـ لقد فقدنا تلك الزهرة السوداء ، و (نور) يطارد الآن آخر العمالقة ، فى محاولة لاستعادتها ، ولكننى أشك فى قدرته على ذلك .

بعد ما رأيته من قوة هؤلاء العمالقة وقدراتهم ، وهذا يعنى أن الأمل الوحيد أمامنا الآن ، لسبر أغوار هذا السر الغامض ، هو خبراتك ومهاراتك ، فى فحص وتشريح جثة (على ثابت) .. أريدك أن تعيد فحصها ، باعتبار أنها حالة من الدرجة الأولى .. سنمنحك كل ما تطلب من إمكانات ، بحيث تفحص الجثة خلية خلية ، لو اقتضى الأمر .. المهم أن تعطينا فى النهاية طرف خيط ، يمكن أن يقودنا إلى السر .

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى ، وأتمنى لو ينجح (نور) فى الـ ...

قاطعه أزيز جهاز الاتصال الخاص ، فابتلع ما تبقى من عبارته ، فى حين التقط القائد الأعلى مسماع الجهاز فى سرعة ، وألصقه بأذنه لحظة ، امتقع خلالها وجهه ، وهو يقول :

ـ أأنت واثق ؟

ازداد وجهه امتقاعًا ، وهو يستمع إلى الجواب ، ثم أعاد المسماع إلى موضعه ، وهو يقول فى ألم وأسف :

ـ (نور) .

سأله الدكتور (حجازى) بقلب يرتجف .

ـ ماذا أصابه ؟

خفض القائد الأعلى عينيه ، وتمتم فى مرارة :

ـ لقد هزمه العملاق الأخير ، ونسف طائرته .. سحقها سحقًا .

وهوى قلب الدكتور (حجازى) بين قدميه ..

★ ★ ★

« مات ؟! .. »

تفجرت الدموع من عينى (مشيرة) ، وهى تحدق فى وجه الصحفى ، الذى نقل إليها الخبر ، مستطردة بلهجة أشبه بالانهيار :

ـ (أكرم) مات ؟!

أجابها الصحفى فى أسف :

ـ هذا ما بلغنى الآن .. لقد خرج (نور) و (أكرم) لمطاردة عملاق خفى ، كما سمعهما مراسلنا ، واستقلا هليوكوبتر قديمة ، ورآها المراسل بنفسه تنفجر ، وهو يتبعهما بسيارة الشركة الصاروخية ، حتى الصحراء الغربية .

رددت فى انهيار :

ـ (أكرم) مات !!.. (أكرم) مات !!

ثم انفجرت باكية فى مرارة ، وانطلقت تعدو إلى حجرتها ، وأغلقت بابها خلفها فى قوة ، وتركت نهرًا من الدموع يغرق وجهها وسط الظلام ..

(أكرم) مات !!

لماذا ؟!..

لماذا يموت الآن ، بعد أن أحبته ، ومنحته قلبها ؟..

بل لماذا أحبته إلى هذا الحد ؟!..

لماذا منحت كل حبها وعشقها لرجل يهوى الخطر ، ولا يتردد فى إلقاء نفسه فيه ، فى أية لحظة ؟!

تضاعف انهمار الدموع من عينيها ، وهى تهتف :

ـ إنه القدر .. قدره وقدرى .. من المقدّر لنا أن نحبَ فلا نلتقى ، ونعشق فنفترق .. إنه قدرنا ..

ألقت رأسها على ذراعيها ، وانحنت تستند إلى مكتبها ، وتترك لدموعها العنان ..

ثم فجأة ، شعرت بالباب يُفتح من خلفها ، فصاحت بصوت مختنق :

ـ لا أريد مقابلة أحد الآن .

أتاها صوت حنون ، يقول :

ـ حتى أنا ؟

انتفض جسدها فى عنف ، والتفتت فى سرعة ، تتطلّع إلى المتحدّث ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

كان صاحب الصوت يقف بالباب ، والضوء يأتى من الممر خلفه ، فيخفى وجهه وملامحه ، التى غابت مع ظلام الحجرة ..

وبصوت مرتجف ، مرتعش ، شاحب ، غمغمت :

ـ من .. من أنت ؟

تقدّم صاحب الصوت خطوة ، وهو يقول :

ـ مستحيل !.. مستحيل أن تخطئى صوتى يا أميرتى .

صرخت بكيانها كله :

ـ (أكرم) .. إنه أنت .

لم تدر كيف نهضت من مقعدها ، ولا كيف اندفعت نحوه ، ولكنها

وجدت نفسها فجأة بين ذراعيه ، تتحسّس وجهه وملامحه فى سعادة لا حدود لها ، وتهتف :

ـ إنه أنت يا (أكرم) .. حمداً لله .. حمداً لله .

وأضاءت الحجرة فى سرعة ، وابتعدت لتلقى نظرة شاملة على وجهه ، قبل أن تقول ، فى صوت أرجفته السعادة :

ـ ولكن .. ولكنهم أبلغونى أن الهليوكوبتر قد انفجرت ، وأنكما .. أعنى أنت و (نور) قد .. قد ..

قاطعها وهو يمسّ شفتيها بأنامله ، قائلاً :

ـ من الواضح أنهم رأوا المشهد من بعيد يا أميرتى ، ولم يكن أحدهم هناك .

قالت فى انفعال :

ـ ولكن الهليوكوبتر انفجرت بالفعل .

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .

سألته فى لهفة وسعادة :

ـ ماذا حدث هناك إذن ؟!

ابتسم وهو يقول :

ـ سأخبرك ..

وراح يروى لها ما حدث ..

★ ★ ★

كانت الهليوكوبتر تدور حول نفسها على نحو مخيف ، بعد أن فقدت ذيلها ، ولكن (أكرم) حاول تصويب مسدسه فى غضب ، إلى



انفجرت الهليوكوبتر فى قوة ، وكان دويّها يخرق آذانهما ، وهما يرتطمان برمال الصحراء ويتدحرجان فوقها فى عنف ..

العملاق الذى ينطلق بمركبته الهوائية ، فى نفس اللحظة التى صوّب فيها العملاق مسدسه ، ذا الفوهة الواسعة ، إلى الهليوكوبتر ..

وصرخ (أكرم) فى غضب :

- ستدفع الثمن أيها الوغد .

ولكن (نور) انخفض فجأة بالطائرة ، وقفز من مقعده ، ودفع (أكرم) أمامه ، عبر الباب الجانبى المفتوح ، وهو يهتف :

- فيما بعد يا رجل .

كانت مفاجأة لـ (أكرم) ، الذى ضغط زناد مسدسه بحركة تلقائية ، وسمع دوى رصاصته ، وهو يهوى مع (نور) ، من ارتفاع عشرة أمتار ..

وفوقهما دوى الانفجار ..

انفجرت الهليوكوبتر فى قوة ، وكاد دويّها يخرق آذانهما ، وهما يرتطمان برمال الصحراء ويتدحرجان فوقها فى عنف ، فى حين واصل العملاق طريقه ، بمركبته الهوائية ، حتى غاب عن الأنظار ، واختفى مع الأفق والرمال ..

وفى غضب ، نهض (أكرم) ينفض أكوام الرمال عن ثيابه ، وهو يهتف :

- لماذا فعلت هذا ؟.. لماذا منعتنى من قتله ؟

نهض (نور) بدوره ، ونفض الرمال عنه ، وهو يقول فى صرامة :

- لقد أنقذت حياتى .

صرخ (أكرم) :

ـ من قال هذا ؟.. لو منحتنى لحظة إضافية ، لاخترقت رصاصتى جبهة هذا الوغد ، فى منتصفها تمامًا ، وأرسلته خلف زملائه الخمسة .

قال (نور) فى حدة :

ـ إنها ليست مزحة ، أو فيلمًا خياليًا سينمائيًا .. لقد كانت الهليوكوبتر تدور بسرعة كبيرة ، ولم يكن من الممكن أن تجيد التصويب ، فى ظل هذه الظروف .

صاح (أكرم) :

ـ ومن أنبأك بهذا ؟!.. لقد كنت أتدرّب فى الجبال ، على إصابة الفئران ، من مسافة خمسين مترًا ، وأنا معلّق بحبل رفيع ، يدور حول نفسه دون توقُّف .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا يمكننى المخاطرة بهذا .

ثم أشار إلى الأفق ، مستطردًا فى غضب :

ـ ولم أكن لأخاطر بفقد الزهرة السوداء ، لو أننى أثق فى قدرتك على أداء هذا ، ولو بنسبة واحد فى الألف .

هتف (أكرم) :

ـ هل تراهن ؟

لوّح (نور) بكفه فى صرامة ، وقال :

ـ كلا .. لن أراهن .

لم يكد ينطقها ، حتى لاحت طائرات هليوكوبتر الإنقاذ من بعيد ، وهى تقترب من البقايا المشتعلة للهليوكوبتر ، فعقد (نور) حاجبيه وقال :

ـ وعلى أية حال .. لقد انتهى الأمر ، وخسرنا هذه الجولة .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ ولكننا لم نخسر المعركة .. لم نخسرها بعد .

★ ★ ★

أمسك الدكتور (حجازى) كتفى (نور) فى حرارة ، وهو يقول فى سعادة :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .. حمدًا لله على سلامتك يا ولدى .. إنها لأسعد لحظة فى حياتى .

قال (نور) :

ـ أشكرك كثيرًا يا دكتور (حجازى) ، ولكن أخبرنى .. هل بدأت فى إعادة فحص جثة الرحّالة المصرى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ ليس بعد ، ولكن مساعدى يقوم الآن بعمل شرائح مختلفة ، من أنسجة الجسم وأجهزته الحيوية ، لنفحصها بالمجهر الإليكترونى والأيونى ، فربما يوصلنا هذا إلى جديد ، وفى نفس الوقت ، فالقائد الأعلى يطلب الاجتماع بنا معًا ، لنراجع كل ما أمكن جمعه من معلومات ، حول (على ثابت) ، ورحلاته وأبحاثه .

غمغم (نور) :

ـ أعتقد أن هذا سيفيد كثيرًا بالفعل .

لم تمض دقائق ، حتى كان كلاهما فى حجرة القائد الأعلى ، الذى قال وهو يشير إلى كمبيوتر خاص :

ـ لقد جمعنا كل المعلومات الممكنة ، وسنستمع إليها معًا .

وقال بصوت مرتفع :

ـ هيا .. ابدأ العمل .

أضيئت شاشة الكمبيوتر فوْر النداء ، وانبعث منه صوت معدنى يقول :

ـ هذا الملف الكامل للرحَّالة (على حسين ثابت) .. السن ...

راح الكمبيوتر يسرد بسرعة كل التفاصيل ، عن (على ثابت) وصفاته ، ومؤهلاته ، وعنوانه ، وعمله ، ثم انتقل إلى أبحاثه ومؤلفاته ، وتابع :

ـ وفى بحثه الأخير (الماضى أم المستقبل) ، تكلّم (على ثابت) عن كهوف (تاسيلى) ، وقال : إن بعض الشواهد تؤكّد أن رسوم ونقوش الكهوف ، هى صورة لما يمكن أن يصل إليه الإنسان فى المستقبل ، وهى فى الوقت ذاته ، صورة محتملة ، لما كان عليه فى الماضى ، وهذا يجعلنا أمام تفسيرين ، لا ثالث لهما ، ونحن نبحث عن سر رسوم ونقوش كهوف (تاسيلى) .. فإما أن شخصًا ما ، ضاع فى الزمن ، أو سافر عبره إلى الماضى ، حتى بلغ منطقة الكهوف ، فنقش على جدرانها صورة لزمنه ، الذى أتى منه ، قبل أن يلاقى مصرعه مجهولاً منسيًا ، فى زمن يسبق زمنه بآلاف السنين ، أو أنه شخص نجا من كارثة هائلة ، قضت على كل حضارة الماضى ، فراح يدوّن تفاصيل هذه الحضارة على الجدران .

فجّر التفسيران الكثير من الدهشة والتساؤل ، فى أعماق (نور) والدكتور (حجازى) ، والقائد الأعلى ، وهمّ الأخير بطرح تساؤل ما ، لولا أن تابع الكمبيوتر :

ـ وآخر رحلة قام بها الرحَّالة (على ثابت) ، هى بعثته إلى مرتفعات (تاسيلى) ، فى محاولة لإثبات صحة احتمال من الاحتمالين ، ولقد قضى مع بعثته أربعة أيام ، أمام المرتفعات ، وكانوا يرسلون تقاريرًا يومية ، قال آخرها : إن (على ثابت) قد اصطحب عالمًا جيولوجيًا ، لدراسة وفحص كهوف (تاسيلى) ، وبعدها توقّف ورود التقارير اليومية ، واختفت البعثة كلها ، ولم يسفر البحث عنها عن أدنى أثر لها ، حتى ظهر (على ثابت) فجأة ، بعد عام تقريبًا من الاختفاء ، ومات أمام المرتفعات ، وهو يحمل فى يده زهرة سوداء ، لم يتوصّل العلماء إلى سر وجودها بعد .

انتهى هنا تقرير الكمبيوتر ، وتوقّف الصوت المعدنى ، فالتفت القائد الأعلى إلى (نور) وقال :

ـ هل كوّنت فكرة واضحة يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .. سأنتظر تقرير الفحص الثانى ، الذى يقوم به الدكتور (حجازى) ، ثم أنطلق إلى النقطة ، التى تحمل لنا الخطر ، والتى تدور حولها كل الأحداث .

ونهض يضع يده على خريطة الوطن العربى ، مستطردًا فى حزم :

ـ إلى مرتفعات (تاسيلى) ..

* * *

ألقت (سلوى) نظرة حزينة ، على صورة كبيرة لابنتها (نشوى) ، تزيِّن أحد جدران الردهة ، ثم تمتمت :

ـ كم أوحشتنى يا صغيرتى .

مسحت دمعة انحدرت من عينيها ، ثم اتجهت إلى حجرتها ، وراحت تنظم ثيابها ، وتعدَ ثيابًا مناسبة للعملية القادمة ، فى محاولة للسيطرة على انفعالها ..

وفجأة ، تناهت إلى مسامعها حركة خافتة ، جعلتها تنتبه ، وترهف سمعها جيدًا ..

كأن وقع أقدام ..

إنها ليست مخطئة حتمًا ..

هناك وقع أقدام حذرة ، تقترب من حجرة نومها ..

وخفق قلبها فى عنف ..

لا يمكن أن يكون القادم صديقًا ..

الأصدقاء لا يتسلَّلون على هذا النحو ..

تحرَّكت فى سرعة نحو هاتف الفيديو ، المجاور للفراش ، وضغطت أزراره فى سرعة ، ولم تكد صورة مسئول الاتصال ، فى مبنى المخابرات العلمية ، تظهر على الشاشة ، حتى قالت فى توتر ، وبصوت شديد الخفوت :

ـ أريد التحدث إلى زوجى على الفور .. (نور الدين محمد) .

أجابها الرجل فى آلية :

ـ إنه فى اجتماع خاص وسرى ، مع سيادة القائد الأعلى ، ومن المحظور قطع هذا الاجتماع ، إلا للضرورة القصوى .

هتفت فى حنق :

ـ وهذه ضرورة قصوى .. أنا أتعرَّض للخطر .

اعتدل الرجل فى اهتمام ، وقال :

ـ فى هذه الحالة سنرسل فورًا فرقة أمن ، و ...

صاحت فى ثورة :

ـ قلت لك : أبلغ زوجى .. لست أريد ...

انقطع الاتصال بغتة ، قبل أن تتمَ عبارتها ، وتلاشت صورة الرجل ، فقفزت (سلوى) من مكانها ، هاتفة فى جزع :

ـ لقد قطعوا الأسلاك .

اندفعت نحو دولابها ، واختطفت مسدسًا ليزريًا ، و ...

وفى اللحظة نفسها ، انفجر باب الحجرة ..

نسفته صاعقة محدودة ، ثم اندفع عبره عملاق مخيف ..

وأطلقت (سلوى) صرخة ..

صرخة واحدة ..

ثم انتهى كل شىء .

* * *

٨ ـ اختطاف ..

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه فى حيرة ، وهو يتطلَّع إلى (نور) ، قائلاً :

ـ مازلت أعجز عن استيعاب فكرة خروجك فى مهمة واحدة ، مع ذلك الرجل (أكرم) !.. إنكما شخصيتان متناقضتان تمامًا .. كيف يمكنكما العمل معًا ؟!

أجابه (نور) بابتسامة هادئة :

ـ التناقض ليس عنيفًا ، إلى الحد الذى تتصوَّره يا دكتور (حجازى) ، فصحيح أن (أكرم) عنيف وهمجى إلى حد كبير ، ولكنه شريف ومخلص ، ومستعد دائمًا لبذل حياته كلها ، فى سبيل الحق والعدالة ، وفى هذا نتفق تمامًا ، حتى ولو اختلفنا فى الأسلوب .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ أهذا رأيك بإخلاص ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بكل إخلاص ، وإلا لما وافقت قط ، على اشتراكه معى ، فى مهمة قد يتوقَّف عليها مصير الأرض كلها .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ هل تظن أن الأمر قد يبلغ بالفعل هذا الحد ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟!.. كل شىء يشير إلى أن الأمر بالغ الخطورة ، حتى أن أصحاب تلك الزهرة السوداء قد خاطروا بكشف وجودهم ، فى

سبيل استعادتها ، وضحوا بعدد من عمالقتهم المتماثلين ؛ للحصول عليها ، فما الذى يعنيه هذا بالنسبة إليك ، لو أنك درست الأمر بشكل محايد ؟!.. إنه لا يعنى سوى شىء واحد .. أصحاب الزهرة السوداء يخططون لأمر خطير .. بل ومخيف .. ولابد لنا من بذل حياتنا نفسها لو أمكن ، لمنع حدوث هذا الأمر .

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ أنت على حق .. متى تسافرون إلى مرتفعات (تاسيلى) ؟

أجابه (نور) :

ـ بعد ساعة واحدة على الأكثر .. (سلوى) تعدّ الحقائب الآن .

سأله الدكتور (حجازى) فى قلق :

ـ هل ستصحب (سلوى) معكما ؟!.. أليس من الخطر أن تذهب عالمة صوتيات مثلها ، إلى منطقة مثل مرتفعات (تاسيلى) ؟

أجابه (نور) :

ـ هذا صحيح ، ولكننا نحتاج إلى خبير صوتيات ، ولست أثق فى سواها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دخل أحد رجال أمن المبنى إلى مكتبه ، وأدّى التحية العسكرية ، قبل أن يقول فى صوت متوتر :

ـ سيِّدى .. هناك أمر عاجل ، يحتاج إلى تواجدك .

نهض (نور) ، وهو يقول :

ـ هنا .. فى الإدارة ؟!

ارتبك الرجل لحظة ، ثم خفض عينيه ، مجيبًا :

ـ بل فى منزلك يا سيِّدى .

وانتفض قلب (نور) فى عنف ..

★ ★ ★

أحاط عدد كبير من السيارات الرسمية بمنزل (نور) ، وانتشر رجال المعامل الجنائية داخله ، يبحثون عن أية آثار أو بصمات ، واخترقت سيارة (نور) هذا الجمع بسرعة مخيفة ، قبل أن تتوقف بصوت مزعج ، ويقفز منها (نور) ، ويعدو نحو المنزل ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟.. أين (سلوى) ؟

استقبله أحد رجال الشرطة ، وحاول تهدئته ، وهو يقول :

ـ إنها ليست هنا .

صاح (نور) :

ـ أين ذهبت إذن ؟

أجابه الرجل :

ـ الجيران يقولون أنهم سمعوا انفجارًا مكتومًا ، داخل منزلك ، ثم تصاعدت أبخرة كثيفة ، من نافذة المطبخ ، فأسرعوا يبلغون الشرطة .

سأله (نور) :

ـ ولكنهم رأوا شيئًا حتمًا ، فزوجتى لم تتبخر .

أجابه رجل الشرطة :

ـ هناك شاهد واحد ، يقول إنه شاهد سيارة تبتعد بسرعة كبيرة ، بعد دقيقة من سماعه الانفجار .

سأله (نور) فى عصبية :

ـ وهل رأى قائدها ؟

قال رجل الشرطة :

ـ نعم .. ولكن الوصف الذى أدلى به ، يبدو أشبه بروايات الخيال العلمى ، أو الأفلام الهزلية ، و ...

قاطعه (نور) :

ـ هل كان قائدها عملاقًا ؟!

حدّق رجل الشرطة فى وجهه بدهشة ، وقال :

ـ كيف خمّنت هذا ؟!.. نعم .. إنه عملاق يناهز المترين طولاً ، عريض الفك ، والـ ...

قاطعه (نور) فى حدة :

ـ أعرفه جيدًا .

وأطلق من أعماقه زفرة متوترة ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكننى أجهل سر وجوده .

عاد رجل الشرطة يحدّق فى وجهه بدهشة ، مرددًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (نور) فى غضب صارم :

ـ يعنى أن أحدهم قد قرّر تحويل المعركة إلى حرب .. حرب علنية .

★ ★ ★

« هل قتلوها ؟!.. »

هتفت (مشيرة) بالسؤال فى هلع ، فهزّ (نور) رأسيه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا .. لا يوجد دليل واحد على هذا .. صحيح أنهم نسفوا باب

الحجرة ، وحطَّموا رتاج الباب ، ولكنهم لم يفعلوا ما هو أكثر .. ولقد شهد أحد الجيران بأن عملاقًا غادر المنزل ، بعد نصف دقيقة من الانفجار ، وهو يحمل (سلوى) ، ووضعها داخل سيارة ، انطلق بها عملاق آخر على الفور .

قال (أكرم) فى حيرة :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا اختطفوا (سلوى) بالذات ؟

أجابه (نور) :

ـ ربَّما لمنعنا من القيام بأى عمل جاد ، فى مرتفعات (تاسيلى) .. نوع من الضغط النفسى .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ياللأوغاد !

لوَّح (نور) بكفه ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. إنه مجرَّد استنتاج ، حتى هذه اللحظة .

سألته (مشيرة) فى قلق :

ـ هل ستخاطر بالسفر إلى المرتفعات ؟

أجابها فى حزم :

ـ ليس أمامى سوى هذا .. إنه مصيرنا جميعًا .

تطلَّع إليه (أكرم) فى إعجاب ، فى حين هتفت (مشيرة) :

ـ وماذا عن (سلوى) ؟.. هل ستضحَّى بها ؟

أجابها بسرعة :

ـ مطلقًا !

ثم أضاف فى غموض :

ـ ولهذا أتيت إليك .

ولم تفهم (مشيرة) ما يعنيه على الفور ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة وست دقائق بالضبط ، عندما فتح الدكتور (ناظم) عينيه فى صعوبة ، وهمهم بكلمات خافتة ، فانحنت نحوه ممرضة القسم ، وقالت مشفقة :

ـ ماذا تريد بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟

حاول أن يرفع صوته ، ولكنه لم يستطع إلا أن يهمس ، قائلاً :

ـ أين .. أين (نور) ؟

أجابته الممرضة :

ـ إنه ليس هنا ، ولسنا ندرى أين هو .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يهمس فى تهالك :

ـ القائد الأعلى إذن .. أريد القائد الأعلى .

قالت مبهورة :

ـ القائد الأعلى ؟!.. حسن .. سنبلغه هذا .

أمسك يدها بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

ـ أريده على الفور .. هناك معلومات بالغة الأهمية ، ينبغى أن يعرفها (نور) ، قبل أن ينطلق إلى مهمته .. أريده على الفور .. هل تفهمين ؟

أبعدت أصابعه فى رفق ، وهى تقول :

ـ حسن يا دكتور (ناظم) .. سنبلغ القائد الأعلى على الفور .

سمعت صوتًا من خلفها يقول :

ـ أنا هنا يا بنيتى .

ارتجفت فى رهبة ، وهى تعتدل ، وتستدير إلى حيث يقف القائد الأعلى ، وهتفت فى ارتباك شديد :

ـ سيدى .. الدكتور (ناظم) يطلبك ، و ...

لم تستطع إتمام عبارتها ، ولم يكن القائد الأعلى بحاجة إلى هذا ، فانحنى نحو الدكتور (ناظم) ، وسأله :

ـ أنا هنا يا دكتور (ناظم) .. ماذا تريد ؟

ارتجف صوت الدكتور (ناظم)، وهو يقول :

ـ هذه الزهرة .. إنها ليست كما تبدو .. لقد فحصنا جيناتها بالكمبيوتر ، وجاءت النتيجة مذهلة ، و ...

لم يستطع الاستمرار ، وراح يسعل فى قوة ، فمس القائد الأعلى جبهته فى رفق ، وهو يقول مشفقًا :

ـ اهدأ يا دكتور (ناظم) .. اهدأ يا رجل .

قال الدكتور (ناظم) ، بصوت واهن متحشرج :

ـ الأمر بالغ الخطورة .. ينبغى ابلاغ (نور) .. هذه الزهرة هى فى الحقيقة بـ .. بـ ....

امتقع وجهه بغتة ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، وجحظت عيناه ..

ثم هوى ..

هوى فى غيبوبة عميقة ..

★ ★ ★

قطعت جريدة أنباء الفيديو إرسالها التقليدى بغتة ، فى السادسة مساء ، وظهر وجه (مشيرة) على الشاشة ، وهى تقول :

ـ سيداتى آنساتى سادتى .. معكم (مشيرة محفوظ) ، على الهواء مباشرة ، فى لقاء عاجل وهام ، مع (نور الدين محمود) ، بطل التحرير .

تراجعت الصورة فى سرعة ، ليظهر (نور) ، وهو يجلس إلى جوار (مشيرة) ، التى سألته :

ـ سيد (نور) .. ما الأمر العاجل ، الذى أردت إبلاغه للمواطنين ، على الهواء مباشرة ؟

واجه (نور) جمهور المشاهدين ، وهو يقول :

ـ أريد إبلاغ المواطنين بهروب مجرم عملاق ، من إدارة التحقيقات الخاصة ، فى أثناء إجراء تحقيق معه ، حول ارتكابه عدد من جرائم السرقة ، وأرجو من المواطنين إبلاغنا فورًا ، أية معلومات تتوافر لديهم ، عن هذا المجرم ، وسأتلقى بنفسى بلاغاتهم ومحادثاتهم ، أو أقابلهم شخصيًا ، فى مكتبى بمبنى المخابرات العلمية ، و ...

تابعت (مصر) كلها حديث (نور) فى اهتمام ، فى حين بدا مصور البرنامج حائرًا ، وهو يسأل (مشيرة) ، التى تجلس إلى جواره :

ـ مادام هذا البرنامج مسجلاً ، فلماذا نعلن للجمهور أنه بث مباشر ؟

ابتسمت فى غموض ، وهى تقول :

ـ حتى يتصوروا أنه كذلك .

سأل فى حيرة أكثر :

ـ ولكن لماذا ؟.. إننا لم نفعل هذا قط من قبل !

صمتت لحظات ، ثم قالت فى صرامة :

ـ نفذ ما لديك من أوامر دون مناقشة .

لم يرق له أسلوبها ، ولكنه لم يعترض ، وإنما اكتفى بهزّ كتفيه ، وعاد يولى اهتمامه لبث البرنامج ..

أما هى ، فقد شرد بصرها وتفكيرها لحظات ، وهى تفكر فى (نور) و (أكرم) .

كانت وحدها تعلم لماذا ينبغى أن يتصوَّر الجميع ، أن ما يرونه هو بث فورى ، على الهواء مباشرة ..

هذا لأن (نور) لم يكن هنا ، فى هذه اللحظة ..

كان هو و (أكرم) هناك .. فى هذه اللحظة بالذات ..

فوق المرتفعات ..

مرتفعات (تاسيلى) .

* * *



٩ ـ وبدأ الخطـر ..

حلّقت المقاتلة المصرية فى صوت مكتوم ، على ارتفاع كبير ، فوق مرتفعات (تاسيلى) الجزائرية ، وقال قائدها فى قلق واضح ، موجِّهًا حديثه إلى (نور) :

ـ أخشى ما أخشاه أن ترصدنا أجهزة المراقبة الجوية الجزائرية ، فتنطلق خلفنا مقاتلاتهم ، أو يطلقون نحونا أسلحة دفاعهم الجوّى .

أجابه (نور) :

ـ اطمئن .. لقد أرسلنا رسالة شفرية سرية ، تشرح سر وجودنا ، وحصلنا على موافقة السلطات الجزائرية ، على القيام بهذه المهمة لحسابنا ، فى منطقة مرتفعات (تاسيلى) .

تنفّس الطيّار الصعداء ، وتمتم :

ـ هذا أفضل .. لماذا كنت تخفى الأمر عنى إذن ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ صدقنى .. لم أتعمّد هذا .

ضحك (أكرم) ، وقال وهو يعدّ مدفعه الآلى :

ـ لا تصدقه ، إنه يهوى إثارة أعصاب الآخرين .

التفت إليه (نور) ، ورمقه بنظرة ضجرة ، قبل أن يقول :

ـ وماذا عنك ؟.. هل تحمل ترسانة من الأسلحة ؟

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال :

ـ ترسانة ؟!.. إنه مسدس من طراز (ماجنوم ـ ٤٤) ، وآخر طراز (والتر) ، وبعض الذخيرة .

سأله (نور) :

ـ ولماذا لا تستخدم مسدسًا ليزريًا ، لا يصنع ضجة كبيرة ؟

أجابه فى هدوء :

ـ إننى أفضل استخدام كواتم الصوت .

قال (نور) :

ـ هذا أسلوب بدائى .

أجاب (أكرم) بسرعة :

ـ وكذلك أنا .. هل نسيت ؟.. بدائى وهمجى .

كادت تدور بينهما مشاحنة كلامية ، لولا أن قال الطيار :

ـ نحن فوق الهدف تمامًا .

نهض (أكرم) على الفور ، قائلاً :

ـ عظيم .. هل نستعد للقفز ؟

سأله (نور) ، وهو يتأكد من إحكام رباط مظلته :

ـ هل سبق لك القفز بمظلة ؟

هتف (أكرم) :

ـ بالطبع .. إنها ليست المرة الأولى .

ضغط الطيار أحد الأزرار أمامه ، فانفتح باب القفز ، وصكت وجهى (نور) و (أكرم) رياح باردة ، دفعت قشعريرة إلى أعماقهما ، والطيار يقول :

ـ استعد .. اقفز .

وثب (نور) من الطائرة على الفور ، وتبعه (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ على بركة الله .

سبح جسداهما فى الهواء بعض الوقت ، ثم قال (نور) ، عبر جهاز اتصال خاص ، يربط بينهما :

ـ استعد لفتح المظلة ، عند ألف وعشرين .

سأله (أكرم) :

ـ ألفا وعشرون قدمًا ؟!

هتف (نور) :

ـ ماذا ؟.. من علمك القفز يا رجل ؟.. ألف وعشرون تعنى أن تبدأ العد بألف وواحد ، ثم ألف واثنين ، وهكذا .. حتى تصل إلى ألف وعشرين ، فتجذب حبل المظلة .

صاح (أكرم) :

ـ أعرف هذا بالطبع .. كنت أمزح يا رجل .

كان الظلام ينتشر فى المنطقة كلها ، ولكن (نور) لاحظ ، على ضوء القمر ، أن جسد (أكرم) يبتعد عنه ، فهتف عبر جهاز الاتصال :

ـ ماذا تفعل ؟.. حاول أن تقترب من المرتفعات ، وافتح مظلتك .

رأى المظلة تفتح على الفور ، والرياح تجذبها بعيدًا عن المرتفعات ، فصاح :

ـ حاول التحكم فى مظلتك يا رجل .. اجذب حبالها ، وإلا ذهبت بك بعيدًا .

أتاه صوت (أكرم) عصبيًا ، وهو يقول :

ـ إننى أحاول ، ولكن ..



بتر عبارته لحظة ، ثم استطرد فى حدة :

ـ اللعنة !.. لقد كذبت عليك .. إنها أول مرة أقفز فيها بمظلة .

اتسعت عينا (نور) ، فى دهشة وذعر ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

كان قد اقترب كثيرًا من قمة المرتفعات ، فتشاغل بعض الوقت بتوجيه مظلته ، حتى هبط على قمة المرتفعات ، ونزع المظلة بسرعة عن جسده ، وترك الرياح تحملها بعيدًا ..

ولكن أحبال المظلة اشتبكت بذراعه بغتة ..

ووجد (نور) نفسه يسقط أرضًا ، والرياح تدفع المظلة أمامها مع جسده ، إلى حافة القمة ..

وهتف (نور) :

ـ اللعنة !.. سيتحطم جسدى ، لو لم أتخلص من هذه الحبال .

ثنى ركبته ، واستل من حول ساقه خنجرًا ، وراح يمزق به أحبال المظلة ، التى تجذبه بسرعة إلى الحافة ..

وكانت مباراة فى السرعة ، ما بين (نور) والرياح ..

واقتربت المظلة من الحافة أكثر وأكثر ..

ثم تجاوزتها ..

وفى اللحظة نفسها ، قطع (نور) الأحبال ، وتدحرج جسده لحظات ، فى حين طارت المظلة بعيدًا ..

وتصور (نور) أنه قد نجا ، ولكن جسده واصل تدحرجه ، حتى بلغ الحافة ، وتجاوزها بدوره ، و ...

كان قد اقترب كثيرًا من قمة المرتفعات ، فتشاغل بعض الوقت بتوجيه مظلته ، حتى هبط على قمة المرتفعات ، ونزع المظلة بسرعة عن جسده ، وترك الرياح تحملها بعيدًا ..

ووجد (نور) نفسه فى الهواء ، على ارتفاع مائة متر من رمال الصحراء ..

ثم بدأ جسده يهوى ..

★ ★ ★

بذل (أكرم) قصارى جهده ، للتحكم فى أحبال مظلته ، ولكن قلة خبرته منعته من السيطرة على المظلة ، التى دفعتها الرياح أمامها فى قوة ، لتبتعد أكثر وأكثر عن المرتفعات ..

وفى حنق ، هتف (أكرم) :

ـ ألم تجد هذه الرياح وقتًا أفضل ، لتهبّ بهذه القوة ؟.

كان جسده يهبط بزاوية حادة ، نحو رمال الصحراء ، فمدّ يده ينتزع حزام المظلة ، من حول وسطه ، وهو يهتف :

ـ فليكن .. سأقفز وحدى .

انتزع حزام المظلة بحركة واحدة عنيفة ، وانزلق منها ، ليهوى جسده فى الهواء ، من ارتفاع عشرين مترًا ، وحاول أن يضمّ ركبتيه إلى صدره ، ليخفّف من وقع السقوط ، ولكن سرعة السقوط كانت أكثر مما توقّع بكثير ، فارتطم بالرمال فى عنف ، وسقط ليتدحرج فوقها فى قوة ، قبل أن يستقرّ جسده ، ووجهه مدفون فى الرمال ..

ولثانية أو ثانيتين ، ظلّ (أكرم) صامتًا ساكنًا ، ثم لم يلبث أن رفع وجهه فى عنف ، ونفضه فى قوة ، وبصق الرمال التى ملأت فمه ، وتسلّلت إلى لسانه ، وحلقه ، وهو يهتف :

ـ حسن .. لم يكن السقوط هادئًا ، ولكنه نجح الى حد كبير .

حاول أن ينهض ، ولكنه شعر بآلام فى عظامه كلها ، فترك جسده يسترخى فوق الرمال بعض الوقت ، وهو يغمغم :

ـ اهدأ يا (أكرم) .. من المؤكّد أن عظامك لم تتحطّم كلها ، وإلا كانت الآلام أكثر شدة .. إنها بعض الرضوض البسيطة ، من أثر السقوط ، وستزول هذه الآلام بعد قليل .

كان يتنفس فى صعوبة ، مع الرمال التى تدفعها الرياح ، بالقرب من سطح الأرض ، والتى ترتطم بوجهه ، فتسبّب له آلاما حادة ، مما جعله يتمالك نفسه ، وينهض جالسًا ، وهو يقول :

ـ أعتقد أن الرضوض أكثر رحمة .

دفع ذراعيه الى الخلف ، فى محاولة لاستعادة نشاطه ، ثم استجمع قوته ، ونهض يتحسّس جسده ، مغمغما :

ـ حمدا لله .. جسدى بخير .. لم تتحطّم عظامى كما كنت أتصوّر .

توقف بغتة ، وهو يتحسّس جسده ، وهتف :

ـ المسدسان !.. أين هما ؟!

بحث بعينيه فى لهفة عن مسدسيه ، ولمح جرابيهما على مسافة أربعة أمتار منه ، فتنفس الصعداء ، وهو يقول :

ـ ها هما ذان .. لقد سقطا من المظلّة .

تحرك فى هدوء ، متجها الى المسدسين ، عندما انطلقت فجأة تلك الزمجرة ..

زمجرة ذئب جائع ، راح يتطلع الى (أكرم) بعينين وحشيتين ، وهو يبرز أنيابه الحادة ..

وتوقف (أكرم) فى حذر ..

وتعلقت عيناه بالذئب الجائع ..

زمجر الذئب مرة أخرى ، فالتقى حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ حذار أيها الذئب .. لقد قاتلت فيما مضى من هم أكثر شراسة منك ، وهأنذا أقف أمامك على قيد الحياة ، فما الذى يعنيه هذا بالنسبة لك ؟

تابعه الذئب بعينيه الوحشيتين ، وهو يطلق زمجرة أخرى ، فتحرك (أكرم) فى بطء وحذر ، محاولاً بلوغ مسدسيه ، وهو يغمغم :

ـ هيا .. أطلق زمجرتين أخريين ، وأعدك أن تكون الثالثة هى أنفاسك الأخيرة .

ولكن الذئب انطلق فجأة نحوه ..

وانطلق (أكرم) بدوره ..

انطلق محاولاً بلوغ مسدسيه ، قبل أن يبلغه الذئب ..

ولكن الذئب وثب فى قوة ، وبلغ (أكرم) ، وأسقطه أرضًا ، ثم أطلق زمجرة أخرى ظافرة ، وكشر عن أنيابه ، و ...

وهوت الأنياب القاتلة ..

★ ★ ★

شعر (نور) بجسده يتجاوز الحافة ، ويبدأ فى السقوط ، فدفع ذراعيه إلى الأمام بحركة غريزية ، وتشبثت أصابعه بالحافة فى قوة ..

وتوقف جسده عن السقوط ..

ولكن حزام جهاز الاتصال انقطع ..

ورأى (نور) جهاز الاتصال ، الذى يربط بينه وبين (أكرم)

يهوى ، من ارتفاع مائة متر ، ويرتطم بحافة صخرية فى طريقه ، فيتحطم فى عنف ، وتسقط أجزاؤه متفرقة ، لتستقر فوق الرمال ..

ولكن هذا لم يقلقه ..

كان قلقه كله يتركز على سقوطه هو ، خاصة وأن أجزاء الحافة التى تشبث بها ، لم تكن قوية أو متماسكة ..

وبكل قوته ، دفع (نور) جسده إلى أعلى ، وثنى قدميه فى مرونة ، وتعلق بالحافة بإحدى قدميه ، ثم صعد فوقها ..

وفجأة تهاوى ذلك الجزء من الحافة ..

ولكن (نور) كان مستعدًا لهذا ، فدفع جسده ، وقفز إلى الأمام ، واستقر على جزء ثابت من الحافة ..

وألقى (نور) جسده على الحافة ، وراح يلهث فى تعب وانفعال ، وهو يغمغم :

ـ يا لها من بداية !

نهض جالسًا ، وحاول أن يخترق بعينيه حجب الظلام ، للبحث عن (أكرم) ، الذى جذبت الرياح مظلته بعيدًا ، ولكنه عجز تمامًا ، فتمتم فى مرارة :

ـ من الواضح أننى فقدت رفيقى مؤقتًا ، وعلىَّ أن أعمل وحدى .

زفر فى حنق ، ونهض واقفًا ، وهو يستطرد :

ـ المهم أن يكون بخير .

تأكد من وجود مسدسه الليزرى فى حزامه ، وتحسسه فى ارتياح ، ثم أشعل مصباحه ، وأخرج خريطة جيولوجية لمرتفعات (تاسيلى) ، راح يدرسها فى اهتمام ، قبل أن يغمغم :

ـ من هنا يمكننى الهبوط ، عبر ممر صخرى ، إلى كهوف (تاسيلى) ، حيث الرسوم والنقوش ، التى قضى (على ثابت) نحبه ، وهو يبحث عن أصلها وحقيقتها ، ولكن هذا الطريق مباشر ومعروف ، فالأفضل إذن أن أتخذ الطريق الآخر .. والأصعب .

اتجه إلى الناحية الأخرى من الحافة ، وتطلّع إلى أسفل ، ثم أخرج من حقيبته جهازًا صغيرًا ، وضعه بالقرب من الحافة ، ثم ضغط أحد أزراره ، وتراجع بضع خطوات ..

ولثوان ، ظلّ الجهاز ساكنًا صامتًا ، ثم أضيء مصباح أحمر فى قمته ، وانطلقت من جوانبه بغتة عدة زوائد معدنية ، انغرست فى الصخور بقوة ، وحفرت مداخلها إليها ، ثم برز من جانب منها طرف خيط سميك ..

وفى هدوء ، اتجه (نور) إلى الخيط ، وجذبه فى رفق ، ثم ضغط زرًا آخر فى الجهاز ، فظهرت على شاشته عبارة تقول :

ـ الوزن المسموح به مائتا كيلو جرام .. الجذب لمرة واحدة يعنى الانخفاض ، والجذب لمرتين يعنى الارتفاع ، وثلاث مرات يعنى التوقّف .

شعر (نور) بالارتياح ، ثم اقترب من الحافة ، وجذب الخيط جذبة واحدة ، وقفز من الحافة ..

وهنا بدأ الجهاز عمله ..

كان عبارة عن رافعة ذرية صغيرة ، تحرّكت فى بطء ، وتركت الحبل يتدلّى بـ (نور) ، الذى تشبّث به فى قوة ، واستند بقدميه إلى الصخور ليحفظ توازنه ، وظلّ يهبط ، ويهبط ، ويهبط ، حتى رأى

أمامه فتحة جانبية ، فجذب الحبل ثلاث مرات ، وتوقّفت الرافعة عن العمل ، فدفع (نور) جسده إلى الأمام ، حتى استقرّ أمام الفتحة الجانبية ، وهنا تخلّى عن الخيط السميك ، واستند إلى الجدار الصخرى فى صلابة ..

ومضت لحظات ، دون أن ينبس (نور) ببنت شفة ، أو تصدر عنه حركة واحدة ، حتى يتأكّد من أن أحدًا لم ينتبه إلى وجوده ، وبعدها أشعل مصباحه ، ووثب عبر الفتحة الجانبية ، إلى أحد كهوف (تاسيلى) ..

كانت المنطقة ، التى وثب إليها ، مبهرة بحق ، فجدرانها تحوى الكثير من النقوش والرسوم ، التى تصوّر نساء سابحات فى الهواء ، وكل منهن ترتدى زيًا أشبه بزى رواد الفضاء ، وتضع خلف ظهرها ما يشبه آلات الطيران والتوجيه ، وتتقاتلن على نحو عجيب ، جعل (نور) يتمتم :

ـ عجبًا !.. لماذا النساء من دون الرجال ؟!

لم يشغل عقله طويلًا بالبحث عن التفسير ، وإنما انتقل ذهنه مباشرة إلى (سلوى) . فعقد حاجبيه ، وغمغم فى مرارة :

ـ صدقينى يا (سلوى) .. أنا أفعل كل هذا من أجلك .. من أجل الأرض كلها ، ولو مس هؤلاء الأوغاد شعرة واحدة منك ، فسأسحقهم سحقًا .

كان قلبه ينتفض بين ضلوعه فى أسى ، ولكنه هزم مشاعره ، وأولى مهمته اهتمامه . وهو يسير عبر الكهف ، ويطالع الرسوم والنقوش بمصباحه ..

لقد قرأ الكثير والكثير عن كهوف (تاسيلى) ، فى صباه وشبابه ، وأثارت رسومها ونقوشها أفكاره وخياله ، ولكنها كانت المرة الأولى ، التى يراها بعينيه رأى العين ..

وكانت الرسوم مبهرة بحق ..

إنها حياة كاملة ، نقشها فنان مجهول فوق جدران الكهف ..

نساء ورجال وأطفال ..

سيارات وطائرات ومركبات ..

ثياب حديثة ، ومظلات ، ومبان ..

ثم أطباق طائرة ..

هذا ما بدا له ، فى تلك الأجسام ، التى تسبح فى الفضاء ، والتى تشبه تلك الأجسام الطائرة المجهولة الهوية ، التى يراها ويصفها الناس ، منذ عشرات السنين ..

وعلى الرغم منه ، راح عقله يبحث عن تفسير ..

أى فنان رسم هذه اللوحات الهائلة ؟..

ولماذا ؟..

أهو مسافر زمنى ، ضلّ طريقه من المستقبل إلى الماضى ، كما افترض (على ثابت) ، أم أحد الناجين من حضارة ماضية ، بادت قبل ظهور الحضارة المعروفة ، فى التاريخ المكتوب ؟!..

أم أنه مسافر فضائى ؟.

ملّاح هبط من كوكب آخر ، ورسم تفاصيل الحياة على كوكبه ..

ولِمَ لا ؟!..

هذا يفسّر قتال النساء فى السماء ..

يفسّر الكثير ..

ولكن لا توجد زهور ..

لم ير (نور) ، وسط كل هذه الرسوم والنقوش ، زهرة واحدة ، سوداء أو بيضاء ..

ولقد أثار هذا حيرته كثيرًا ..

لماذا نبع كل شىء من هنا إذن ؟!..

ولماذا أصبحت تلك الزهرة السوداء بكل هذه الأهمية ؟!..

كانت عشرات الأسئلة تدور فى رأسه ، وهو يتابع الرسوم والنقوش ، على ضوء مصباحه ..

وفجأة ، انتفض جسده ..

لقد وقع ضوء مصباحه فجأة على وجه مألوف ..

ومخيف ..

على وجه واحد من العمالقة المتماثلين ..

وتراجع (نور) فى حركة حادة سريعة ، وهو يستلّ مسدسه الليزرى ..

ولكن العملاق تحرّك بسرعة أكبر ، وانقضّ على (نور) ..

ورأى (نور) قبضة العملاق تهوى على فكه ، فانحنى متفاديًا اللكمة ، ومال جانبًا ، ثم اعتدل ، ووثب ، ولكم العملاق بكل قوته فى فكه ..

ولكن العملاق لم يتحرّك قيد أنملة ..

لقد ارتطمت قبضة (نور) بفكه مباشرة ، ولكنها لم تزحزحه عن مكانه ..

أما (نور) ، فخيّل إليه أنه لكم جدارًا من الصلب ، وكادت قبضته تتحطم ..

وتراجع (نور) مرة أخرى ، ورفع مسدسه الليزرى فى وجه العملاق ، وهو يقول :

- توقف يا هذا ، وإلا ..

ولكن العملاق وثب نحوه ..

وضغط (نور) زناد مسدسه ، على نحو غريزى ..

وانطلقت الأشعة ..

واخترقت كتف العملاق ..

ولكنها لم توقفه ..

لقد واصل انقضاضته ، وكأنه لم يشعر حتى بإصابته ..

وهوى بقبضته مرة أخرى ..

وأصاب هدفه هذه المرة ..

لقد ضرب مسدس (نور) الليزرى ، وطوّحه بعيدًا ، ثم استدارت عيناه إلى (نور) ..

عيناه القاسيتان ، الجامدتان ، المطبوعتان ..

وفى هذه المرة ، تراجع (نور) عدة خطوات ، وهو يقول :

- حسن يا هذا .. ما الذى تريده منى بالضبط ؟

تقدم منه العملاق فى بطء ، وأطلق زمجرة خافتة ..

وأدرك (نور) أنه لن يقوى على قتال ذلك العملاق ..

كان لابد له من المناورة ..

وهنا ألقى (نور) مصباحه فى وجه العملاق ، وهو يهتف :

- فليكن .. سننهى هذه الجولة بالتعادل .

قالها واستدار ليعدو نحو الفتحة الجانبية ، التى أتى منها ، وانطلق العملاق خلفه ، وهو يطلق زمجرة غاضبة ..

ولكن (نور) كان أخف حركة ، مما جعله يبلغ الفتحة بسرعة ، ورأى الخيط السميك يتدلى أمامه ، فهتف :

- إلى اللقاء أيها الوغد .

ووثب ..

وثب وثبة رائعة ، وتعلق بالخيط السميك ، وجذبه مرتين فى قوة ..

وبدأت الرافعة عملها ثانية ..

وفى هذه المرة جذبته إلى أعلى ..

وبلغ العملاق تلك الفتحة الجانبية ، فى نفس اللحظة التى بدأ جسد (نور) يرتفع فيها ، فأطلق زمجرة غاضبة ، وحاول أن يمسك ساق (نور) ، ليمنعه من الارتفاع ..

ولقد نجح فى هذا ..

وشعر (نور) بيد العملاق تجذبه فى قوة ..

وتوقفت الرافعة لحظة عن العمل ..

وأطلق العملاق زمجرة ظافرة ..

ولكن (نور) استجمع قوته كلها ، وركل العملاق بحذائه ، فى عينه مباشرة ..

وأطلق العملاق صرخة هذه المرة ..

صرخة ألم رهيبة ، رددتها المرتفعات ..

ثم تراجع ..

ومع تراجعه ، عادت الرافعة للعمل ، وجذبت جسد (نور) إلى أعلى ..

وراح جسد (نور) يرتفع ، والعملاق يطلق صرخات الألم والغضب ، فتمتم (نور) ، وهو يلقى نظرة عليه من أعلى :

ـ معذرة يا هذا .. أنا أكره العنف كثيرًا ، ولكنك لم تترك لى سبيلاً سواه .

أطلق العملاق صرخة ألم غاضبة أخرى ، ثم استلّ مسدسه ، ذا الفوهة الواسعة ، وصوّبه إلى (نور) ، الذى هتف :

ـ يا إلهى !.. أسرعى أيتها الرافعة .. أسرعى .

ولكن الرافعة لم تطعه ، وإنما ظلّت ترفع جسده بنفس السرعة والرتابة ..

ولم يطلق العملاق صواعق مسدسه ..

لم يدر (نور) لماذا ، ولكنه حمد الله لأنه لم يفعل ، وراح يتطلّع إليه فى حيرة ، والعملاق يعيد مسدسه إلى حزامه ، ثم يختفى داخل الفجوة ..

وسأل (نور) نفسه :

لماذا لم يطلق العملاق مسدسه ؟!..

لماذا لم يحاول قتله ؟..

لم يجد جوابًا مقنعًا للسؤال حتى بلغ القمة ، فوثب إليها ، وضغط زر إيقاف الرافعة ، وتساءل بصوت مرتفع :

ـ لماذا لم يفعل ؟!

وتوقف لحظات ، ليدرس موقفه ، فى ظل الظروف الحالية ..

لقد انكشف وجوده ..

ما من شك فى هذا ..

مهاجمة العملاق له تثبت ذلك ..

وتثبت أيضا أنه وصل إلى الهدف الصحيح ..

كل شىء يبدأ وينتهى هنا ..

فى مرتفعات (تاسيلى) ..

وفجأة ، شعر بحركةٍ ما خلفه ، فاستدار بسرعة ، و ...

ووجد نفسه بين ذراعى عملاق آخر ..

أو هو نفس العملاق ..

المهم أنه عملاق يناهز المترين طولاً ، وله فك عريض ، و ...

ولقد كبّل ذراعيه فى قوة ، وراح يعتصر صدره بكل عنف ..

وقاوم (نور) ..

قاومه فى استماته ..

ولكن أنفاسه اختنقت فى صدره ..

وغامت الدنيا أمام عينيه ..

ثم انهارت مقاومته ، وسقط فى غيبوبة ..

غيبوبة عميقة .

★ ★ ★

١٠ ـ الذئاب ..

نهض الدكتور (حجازى) ، من أمام الميكروسكوب الإليكترونى ، يستقبل القائد الأعلى ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ من الواضح أن الأمر هام للغاية ، فهذه المرة الأولى ، التى تأتى فيها إلى حجرة الفحص ، يا سيادة القائد الأعلى .

لوّح القائد الأعلى بيده ، وتنهّد وهو يقول :

ـ وهل هناك ما هو أهمّ وأخطر ، من تهديد مصير الأرض كلها ؟

ثم سأله فى اهتمام :

ـ المهم .. هل توصّلت إلى جديد ؟.

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا .. لقد أعدت فحص الجثة كلها ، ثم فحصت الأجزاء الداخلية ، وأخذنا بعض الشرائح لفحصها ، وانتهيت على التو من فحص شرائح خلايا المخ ، بالميكروسكوب الإليكترونى ، ولكن النتائج كلها سلبية .. لا توجد أية آثار غير متوقّعة ، فالرجل لقى مصرعه من شدة الإرهاق والجوع ، وكل خلية من خلاياه تؤكّد هذا ، ولكن لا يوجد أدنى أثر للعقاقير ، أو التأثيرات الإشعاعية ، أو غيرها .

تنهّد القائد الأعلى مرة أخرى ، وقال :

ـ هذا يقلقنى أكثر .

واتخذ مجلسه ، إلى جوار الدكتور (حجازى) ، ثم استطرد فى قلق واحد :

ـ ولكن هناك شىء يعرفه الدكتور (ناظم) ، ويحاول الإفصاح عنه ، وتحذيرنا منه ، ولكنه لا يمتلك القوة لذلك ، فهو لا يستعيد وعيه إلا لحظات قصارًا ، وما أن يستجمع ذهنه ، حتى يهوى مرة أخرى فاقد الوعى .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ وما الذى يمكن أن يعرفه الدكتور (ناظم) ، عن جثة (على ثابت) ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

ـ ليس عن الجثة ، ولكن عن تلك الزهرة السوداء .

بدا الاهتمام على وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ وما الذى قاله عنها ؟

قلب القائد الأعلى كفه ، وقال :

ـ ليس شيئًا محدودًا أو معروفًا .. كل ما قاله هو أن هذه الزهرة ليست كما تبدو .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى تفكير ، وهو يقول :

ـ وما الذى يقصده بهذا القول ؟.. هل يعنى أنها ليست سوداء كما تبدو ؟

رفع القائد الأعلى عينيه إليه ، وقال :

ـ تفسير جيد .. كيف لم يتطرّق إليه ذهنى ؟ نعم .. من الممكن أن يكون هذا ما يقصده .. ولكن كيف لا تكون سوداء ، ويراها الجميع كذلك ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ ربما تمتلك قدرة خاصة ، على تغيير لونها ، تبعا للظروف المحيطة بها .

التقى حاجبا القائد الأعلى بدوره ، وهو يقول :

ـ ولكن ما الخطورة فى هذا ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

ـ من يدرى ؟.. ربما يرتبط هذا التغيير اللونى بتأثيرات ضارة ، جرثومية أو إشعاعية .. أو قد تكون هذه الزهرة متفجِّرة مثلاً .

بدت علامات التفكير العميق على وجه القائد الأعلى طويلاً ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، وهو يقول :

ـ كلها تفسيرات معقولة يا دكتور (حجازى) ، ولكن لست أدرى ، لماذا يحدِّثنى قلبى بأن حقيقة هذه الزهرة السوداء أكثر غرابة وخطورة .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى حزم :

ـ أكثر بكثير ..

★ ★ ★

وثب الذئب ، وأنشب مخالبه فى ظهر (أكرم) ، وهوت أنيابه على كتفه فى وحشيه ، ولكن (أكرم) أدار يده خلف ظهره فى سرعة ، وأمسك الذئب من عنقه ، ودفعه إلى الخلف بكل قوته ، وهو يهتف :

ـ رويدك يا هذا .. لا يصح أن تقاتل الذئابُ الذئاب .

ولكن الذئب غرس أنيابه فى كتفه ، وتشبَّث به فى قوة ..

وسقط الاثنان أرضًا ..

سقط (أكرم) وفوقه الذئب ، وتدحرج لحظات ، حتى صار جسده يعلو جسد الذئب ، وصاح فى ألم غاضب :

ـ انزع أنيابك الحقيرة أيها اللعين ..

قالها ودفع جسده إلى أعلى ، منتزعا أنياب الذئب من كتفه ، ثم انطلق يعدو نحو مسدسيه ، والدماء تسيل على ظهره ..

وانطلق الذئب خلفه مرة أخرى ..

وقفز (أكرم) نحو سلاحيه ..

وقفز الذئب نحوه ..

ومرة أخرى ، سقط الاثنان أرضًا ، وراح الذئب يطلق زمجرة مخيفة ، وأنيابه تقاتل لتنغرس فى عنق (أكرم) ، الذى راح بدوره يدفع عنق الذئب بذراعه اليسرى ، ليبعد عنه أنيابه ، ويده اليمنى تبحث عن مسدسه ..

وضربت مخالب الذئب صدر (أكرم) ، ومزَّقت سترته وقميصه ولحمه ، فصاح به (أكرم) :

ـ فليكن .. أنت تستحق هذا .

قالها عندما بلغت يده جراب أحد المسدسين ، وانتزعته فى سرعة ، ثم ألصق فوهته برأس الذئب ، وهتف :

ـ اذهب إلى الجحيم .

وأطلق النار ..

ولم يصدر الذئب صوتًا واحدًا ..

لقد انفجرت جمجمته مع الرصاصة ، وقفز جسده إلى الخلف ، ثم استقرّ على رمال الصحراء ، وراح ينزف ما به من دماء ..

ونهض (أكرم) جالسا ، وهو يلهث بشدة ، والدماء تنزف من كتفه ، وتلوث صدره وظهره ، وقال فى حدة :
ـ خسئت أيها الذئب .. ألم تجد عشاء سواى .
خلع سترته ، ومزق قميصه إلى شرائح ، بللها بالماء ، ومسح ببعضها جرحه ، ثم ضمده بالبعض الآخر ، وعاد يرتدى سترته ، وهو يغمغم :
ـ لو أن هذه هى البداية ، فكيف تكون الأحداث نفسها ؟.
أمسك جهاز الاتصال ، وقال :
ـ (نور) .. هل تسمعنى ؟.. هنا (أكرم) .. هل تسمعنى يا (نور) ؟
لم يتلق جوابا ، فزفر مستطردا :
ـ عظيم .. أتعشم ألا نكون قد خسرنا (نور) أيضا .
حمل مسدسيه ، ودسهما فى حزامه ، وضم سترته على صدره ، وألقى نظرة على المرتفعات ، على ضوء القمر ، وقال :
ـ لقد ألقتنى الرياح بعيدًا .. أبعد مما ينبغى .. سأسير طويلا ، قبل أن أبلغ هذه المرتفعات .
قالها وحث خطاه ، ليسير فوق الرمال ، فى عكس اتجاه الريح ، متجها إلى المرتفعات ..
وكانت الليلة باردة ..
باردة بحق ..
ولكنه احتمل ، وواصل السير ، حتى بلغ المرتفعات ، فجلس فوق صخرة كبيرة ، وهو يلهث قائلا :

ـ يا إلهى !.. كيف تسير المركبات فى البحار ، فى الليالى العاصفة ؟
رفع عينيه إلى أعلى ، ليقيس الارتفاع ببصره ، وابتسم مغمغما :
ـ هأنتذا قد عكست اتجاه الحركة يا (أكرم) .. ستصعد إلى الكهوف ، بدلا من أن تهبط منها ..
هم بالتسلق ، عندما شعر بقلق غريزى مفاجئ ، فتوقف بغتة ، واستدار يتطلع خلفه ، و ...
وتجمدت الدماء فى عروقه ..
لقد كان ذلك الذئب ، الذى قتله ، مجرد طليعة ..
طليعة قطيع متوحش من الذئاب ، وقف يتطلع اليه بعيون نارية متوحشة ، من مسافة عشرة أمتار فحسب ..
كانوا أكثر من عشرين ذئبًا ، التمعت عيونهم وسط الظلام ، ورائحة دمائه تهب فى وجوههم مع الرياح ، وتزيد من وحشيتهم وشراستهم وجوعهم ..
ثم زمجر زعيم القطيع ..
وانطلقت الذئاب كلها دفعة واحدة ..
انطلقت نحو فريستها ، أو عشائها الأخير ..
نحو (أكرم) ..

★ ★ ★

.. لا ..
هتف (نور) بالكلمة ، وهو يستعيد وعيه دفعة واحدة ، واعتدل جالسا بحركة مباغتة ، ثم حدق فيما أمامه بدهشة ، وعقله لم يستعد صفاءه بعد ..

فى البداية ، لم يفهم أين هو بالضبط ..

كان يرقد فوق فراش من الحرير الأخضر ، وسط ساحة واسعة ، أقلّ ما توصف به هو أنها حديقة غنّاء ، أرضيتها مصنوعة من رخام أبيض ناصع ، وفى منتصفها بركة صناعية ، ينسكب فيها ماء معطرٌ ، من شلال صناعى جميل ، تتألق خلفه أضواء من مختلف الألوان ..

أما سقف القاعة ، فكان يتكوّن من مادة أشبه بزجاج نصف معتم ، وتتألّق كلها بضوء أبيض هادئ جميل ، يضفى على المكان كله نعومة عجيبة ..

وفى كل مكان ، كانت هناك ورود وأزهار ، ونباتات جميلة ، ذات أوراق عريضة ، وأغصان وارفة ..

وهناك موسيقى عذبة هادئة ، تنساب من مكان خفى ، فتغمر المكان كله بألحان عذبة خافتة ..

ثم استعاد عقل (نور) صفاءه ..

وتضاعفت دهشته ..

وفى انبهار ، تمتم :

ـ لولا ما أشعر به من ألم ، لتصوّرت أنها الجنة .

أتاه صوت هادئ من خلفه ، يقول :

ـ هى كذلك بالفعل .

استدار (نور) بسرعة ، يتطلّع إلى صاحب الصوت ، ورأى أمامه رجلًا هادئًا وقورًا ، قصير القامة ، أشيب الشعر ، يبتسم ابتسامة ودود ، ويتطلّع إليه بنظرة باسمة ، فاعتدل (نور) ، وقال :

ـ كلّا .. الجنة أعظم من هذا بكثير .

قال الرجل فى هدوء شديد :

ـ وأنّى لك أن تعرف ؟.

لوّح (نور) بكفه ، وقال :

ـ الجنةمن صنع الخالق (عزّ وجلّ) ، أما هذا ، فعلى الرغم من جماله وروعته ، إلا أنه من صنع البشر .

تطلّع إليه الرجل بنظرة متسائلة ، وكأنه لم يفهم ما قاله ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ لكل منّا رأيه .

سأله (نور) :

ـ ولكن ما هذا المكان ؟.. ومن أنت ؟.. وما الذى جاء بك إلى هنا ؟

أجابه الرجل فى هدوء وبساطة :

ـ هذا المكان هو (بارادايس) .. وأنا رقم (٣١٢٢) .. ورجال الحراسة هم الذين أتوا بك إلى هنا .

ثم ابتسم ، واستطرد :

ـ وكنا ننتظر قدومك فى الواقع .

قال (نور) فى دهشة :

ـ تنتظرون قدومى ؟!.. كيف ؟.. ولماذا ؟.. ومن أنتم بالضبط يا (٣١٢٢) ؟

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

ـ أسئلتك كثيرة وحادة يا (نور) .

هتف (نور) :

ـ أنت تعرف اسمى أيضًا ؟.

أجابه الرجل :

ـ بالطبع .. ألم أقل لك : إننا كنا ننتظرك ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتطلّع إلى الرجل ، ثم قال :

ـ اسمع يا هذا .. أيًا كان رقمك أو اسمك .. هذا المكان لا يروق لى ، وأريد معرفة جواب أسئلتى على الفور .

هز الرجل رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـ ليس هذا من سلطتى .

سأله (نور) فى حدة :

ـ من صاحب الأمر هنا إذن ؟

أتاه صوت أنثوى حازم ، يقول :

ـ أنا .

التفت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيناه فى دهشة ..

كان يتطلّع إلى أجمل أنثى رآها فى حياته كلها ، وأطيبهن رائحة ..

أنثى فى نهاية العشرينات من عمرها ، لها وجه بديع ساحر ، وقوام رياضى جميل ، وشعر أسود كالليل ، ناعم كالحرير ، طويل كشلّال بلا نهاية ، حتى أنه يصل إلى قدميها ، ويتجاوزهما بمتر أو يزيد ، وينساب على الرخام الأبيض فى نعومة ، وهى تتجه بخطواتها الرشيقة الواثقة نحو (نور) ..

وعندما أصبحت على بعد متر واحد منه ، لاحظ عينيها العجيبتين ..

كانتا بلا لون تقريبًا ..



التفت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيناه فى دهشة :
كان يتطلّع إلى أجمل أنثى رآها فى حياته كلها وأطيبهن رائحة ..

شفافتين مع ميل خفيف إلى الزرقة ، يمنحهما جمالاً مذهلاً ، لم ير مثله قط ، فى حياته كلها ..

وفى حزم ، كررت الفتاة عبارتها :

ـ أنا صاحبة الأمر هنا .

لاحظ (نور) أن رقم (٣١٢٢) قد انحنى أمامها فى احترام وتبجيل شديدين ، حتى كادت جبهته تلامس الأرض ، وهو يقول :

ـ مولاتى .

أشارت إليه بالانصراف ، فهرول خارجا ، وتطلعت هى إلى عينى (نور) فى تحد هذه المرة ، وهى تقول :

ـ هأنتذا قد عرفت من صاحب الأمر هنا .. والآن ماذا تريد ؟

ظل مبهورا لحظة ، ثم استعاد سيطرته على نفسه بسرعة ، وقال فى صرامة :

ـ من أنت ؟.. إنك تتحدثين العربية بطلاقة .

أجابته فى ثقة :

ـ ليست العربية وحدها .. إننى أتحدث أيضا الإنجليزية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والروسية ، والهندية ، والأسبانية ، والألمانية ، واليابانية ، و ...

قاطعها (نور) فى دهشة :

ـ وأين وجدت الوقت الكافى ، لتتعلمى كل هذه اللغات ؟

ابتسمت قائلة فى غموض :

ـ وما الحاجة الى الوقت ؟

قال فى حزم :

ـ تعلم اللغات يحتاج إلى بعض الوقت .

لوحت بكفها ، قائلة :

ـ ولكننى تعلمتها كلها ، دون أن أضيع لحظة واحدة .

تطلع إليها فى حيرة وتساؤل ، فاستطردت :

ـ تعلمتها قبل مولدى .

هتف بدهشة بالغة :

ـ ماذا .. قبل مولدك ؟!

ابتسمت فى ظفر ، وكأنما يروق لها إثارة دهشته ، وقالت :

ـ نعم .. قبل مولدى .. ما العجيب فى هذا ؟

لم يشأ الاعتراف بنجاحها فى إثارة دهشته ، فقال بسرعة :

ـ لا يوجد أى عجيب .. فبعض العلماء يدرسون كيفية تلقين بعض العلوم للأجنة ، قبل الميلاد ، ولكن ليس إلى هذا الحد(*) .

ابتسمت مرة أخرى ، وقالت فى غموض :

ـ هذا يعنى أنهم بدءوا الخطوة الأولى ، وما تزال أمامهم عشرات السنين ، حتى يتوصلوا إلى هذا .

تطلع (نور) إليها لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ من أنت بالضبط ؟

رفعت رأسها فى اعتداد ، وهى تقول :

ـ أنا الإمبراطورة .

ثم استدركت بسرعة :

(★) هناك تجارب فعلية ، تدور فى هذا المجال ، فى (كاليفورنيا) ، بالولايات المتحدة الأمريكية ، منذ عام ١٩٨٩ م .

- أعنى أننى سأصبح كذلك ، بعد بضع ساعات .. أما الآن ، فأنا أميرة (بارادايس) .

التقى حاجباه ، وهو يقول :

- (بارادايس) تعنى (الجنة) باللغة الإنجليزية .. فهل تطلقون على هذا المكان اسم (الجنة) ؟!

فردت ذراعيها ، وأدارت جسدها فى بطء ، وهى تقول :

- ألا يستحق هذا ؟

هز كتفيه ، وقال :

- لا بأس .. من الطبيعى أن يصاب البشر بالغرور .

تطلّعت إليه لحظة في غضب ، ثم مالت نحوه قائلة :

- أتعرف أين أنت الآن يا (نور) ؟

أجاب بسرعة :

- تحت مرتفعات (تاسيلى) .

تراجعت فى دهشة ، وهتفت :

- كيف استنتجت هذا ؟!

قال فى هدوء :

- لم يكن الاستنتاج عسيرًا ، فقد خمّنت الأمر ، قبل أن آتى إلى هنا .

ثم جاء دوره ليميل هو نحوها ، ويسألها :

- ولكن من أنتم بالضبط ؟.. من أين أتيتم ؟.. وما الذى تفعلونه هنا ؟

ابتسمت فى غموض وتراخ ، وهى تقول :

- حاول أن تخمّن .

تطلّع حوله ، وقال :

- من الواضح أن هذا المكان لم ينشأ بين ليلة وضحاها .. إنه هنا منذ فترة طويلة .

قالت بابتسامتها الغامضة :

- نعم .. أطول مما تتصوّر .

تابع ، وكأنه لم يسمع عبارتها :

- ومن الواضح أيضًا أنكم تشبهون البشر ، ولكنكم أكثر تطوّرًا بكثير ، وربّما يشير هذا إلى أنكم من كوكب آخر .

هزّت رأسها نفيًا ، وأجابت فى هدوء :

- خطأ .. نحن من أهل الأرض .

التفت إليها ، وقال فى سرعة :

- فى هذه الحالة يكون الاستنتاج الثانى هو الأكثر صوابًا .. أنتم جماعة من المهاويس والمخابيل ، الذين ظنوا أنفسهم أرفع قدرًا ومكانة ، من باقى البشر ، فانعزلوا ، وصنعوا لنفسهم مكانًا سريًا ، تحت مرتفعات (تاسيلى) ، ثم راحوا يخططون لغزو الأرض ، والسيطرة عليها .

أطلقت ضحكة أقرب إلى الجذل ، وهى تقول :

- استنتاج طريف وقريب إلى حد ما ، ولكنه لم يبلغ بعد مرتبة الحقيقة .. إنك لم تنجح فى معرفة عمر هذا المكان .

أدار (نور) عينيه مرة أخرى فى المكان ، ثم قال فى هدوء :

- هذا لأننى لم أطرح كل ما لدى بعد .

أطلقت ضحكة أخرى ، تحمل من السخرية أكثر مما تحمل من جذل ، وقالت :

ـ أراهن أن المفاجأة ستكون من نصيبك ، عندما تعلم الحقيقة .. ولن يمكنك أبدًا استنتاج عمر (بارادايس).

تطلّع إليها بنظرة باردة ، وهو يقول :

ـ يمكنني أن أحاول على الأقل .

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ حاول .. هيا .. أخبرني .. كم يبلغ عمر كل هذا ؟.

رمقها بنظرة صامتة قصيرة ، ثم أجاب :

ـ آلاف الأعوام .. سبعة عشر ألفًا بالتحديد .

وكانت المفاجأة من نصيبها هي .





١١ ـ عبر القــرون ..

حدّقت الأميرة طويلًا في وجه (نور) ، ثم لم تلبث أن سيطرت على مشاعرها بسرعة ، وسألته :

ـ كيف استنتجت هذا ؟

أجابها في هدوء واثق :

ـ الاستنتاج لم يكن بالأمر العسير ، فكل شيء بدأ هنا .. النقوش والرسوم ، واختفاء بعثة (على ثابت) ، ثم عودته إلى الظهور ، مع تلك الزهرة السوداء ، وبعدها سقوط طائرة الدكتور (ناظم) ، وظهور العمالقة .. كل شيء كان يبدأ وينتهي من هنا .. عند منطقة مرتفعات (تاسيلي) ، مما يوحي بأن السرّ كلّه يكمن فيها .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ أو تحتها .

تراجعت برأسها ، وتطلّعت إليه بعينيها نصف الشفافتين لحظات ، قبل أن تلوّح بأصابعها ، قائلة :

ـ هيا .. أكمل .. أنا أستمع إليك .

تابع بنفس الهدوء :

ـ مع كل هذا ، لم يتبق سوى طرح السؤال ، والبحث عن الجواب .. وهذا الجواب يكمن في دراسات (على ثابت) نفسه ، التي قادته إلى هنا ، وأوردته حتفه .. إنه نفس السؤال الذي طرحه في بحثه الأخير .. من صاحب هذه الرسوم أو النقوش ؟.. ملّاح زمني ضلّ سبيله ، أم حضارة قديمة ؟!.. ولقد وجدت نفسي أميل إلى

التفسير الثانى ، على الرغم من غرابته .. نعم .. إنها حضارة قديمة .. حضارة سبقت حضارتنا ، وكل الحضارات المعروفة ، فى التاريخ البشرى المدوَّن .. حضارة اتخذت لنفسها وكرًا ، تحت مرتفعات (تاسيلى) ، عبر القرون .

أطل الإعجاب من عينيها ، وهى تقول :

ـ عظيم .. هذا يؤكد أن قرارى كان صائبًا .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها :

ـ أى قرار ؟

لوَّحت بأصابعها فى خبث ، وقالت :

ـ دعك منه الآن ، وأكمل ما لديك .

هزَّ كتفيه ، وقال :

ـ هذا كل ما لدى .. لقد استنتجت هذا ، وقرَّرت البحث عن الباقى هنا .. فى مرتفعات (تاسيلى) .

هزَّت رأسها لحظات ، ثم تطلَّعت إليه بابتسامة غامضة ، قائلة :

ـ مازال ينقصك الكثير إذن .

ثم أشارت إليه ، مستطردة :

ـ اتبعنى .

تبعها فى فضول واهتمام ، وغادر معها تلك القاعة إلى ممر طويل من الرخام ، انتهى بهما إلى قاعة أخرى ، حملت جدرانها رسومًا عملاقة ، ذكَّرته بلوحة (مايكل إنجلو) الشهيرة ، على سقف كنيسة

(سيستين)(*) ، وأشارت الأميرة إلى أولى اللوحات ، وهى تمثِّل حربًا طاحنة ، أشبه بالحرب العالمية الثانية ، وقالت :

ـ هذا هو متحف التاريخ ، الذى يحكى تاريخ شعب (بارادايس) كله .. وهذا التاريخ يبدأ بالفعل منذ ما يقرب من سبعة عشر ألفًا من السنين ، عندما تزايدت الحروب والمعارك فى أنحاء العالم المختلفة ، وبدا من الواضح أن عهود السلام قد ولَّت ، وأن العالم مقبل على كارثة رهيبة ، قد تتسبَّب فى إبادة الجنس البشرى كله ، بسبب التطوّر الرهيب والسريع ، فى وسائل وأسلحة الدمار الشامل ، خاصة بعد أن اندلعت الحرب بين القوى العظمى فى ذلك الحين ، وراح كل منها يهدِّد الآخر باستخدام أقوى أسلحته .

ثم انتقلت إلى اللوحة الثانية ، التى يبدو فيها رجل وقور ، يشبه رقم (٣١٢٢) ، الذى التقى به (نور) عندما استعاد وعيه ، وبدا ذلك الرجل منهمكًا فى صنع وإعداد تلك القاعة الجميلة ، وقالت الأميرة :

ـ ولقد انتبه جدى الأول إلى هذا ، وأدرك أن العالم مصيره حتمًا إلى الفناء ، فاستخدم كل ثروته ، التى وضعته آنذاك على قمة أغنى أغنياء العالم ، وصنع ما تراه حولك الآن .. صنع (بارادايس) .

(*) (مايكل انجلو) ، أو (ميكلانجلو) - (١٤٧٥ - ١٥٦٤ م) - مصور ونحات إيطالى ، يعدّ من عباقرة عصر النهضة ، وعظماء تاريخ الفن ، ولا مثيل له فى إتقان العمل ، ولقد اشتغل فى (روما) ، ونحت تمثال (باخوس) فى (فلورنسا) ، وتمثال (التقوى) فى (روما) ، ثم رسم لوحة هائلة ، على سقف كنيسة (سيستين) فى (الفاتيكان) ، تمثل العهد القديم ، وهى واحدة من أعظم أعماله قاطبة .

قالتها فى فخر شديد ، قبل أن تنتقل إلى اللوحة الثالثة ، مستطردة :

ـ وكان ما توقّعه .

كانت اللوحة الثالثة تحمل صورة لعشرات الانفجارات النووية ، مما جعلها أشبه بمزرعة من مزارع (عش الغراب)(*) ، وسط سماء حمراء ملتهبة ، والأميرة تتابع :

ـ تطوّرت الحرب الأخيرة بغتة ، على نحو لم تتوقّعه الأطراف المتحاربة ، واستخدم كل طرف أقوى ما لديه ؛ لتحقيق الانتصار .. القنابل النووية ، والجرثومية ، والغازات السامة ، والحارقة ، والمدمّرة للجهاز العصبى .. باختصار .. صار وجه الأرض أشبه بالجحيم .. بل هو الجحيم نفسه .

وانتقلا إلى لوحة رابعة ، تمثّل ذلك الرجل ، داخل (بارادايس) ، وإلى جواره فتاة ، هى نسخة طبق الأصل من الأميرة ، وأمامهما بعض الأسر ، التى يملأ الفزع وجوهها ، واستطردت الأميرة :

ـ أبيدت الحياة تمامًا على وجه الأرض ، إلا من تلك المجموعة من البشر ، التى سمح لها جدّى الأعظم بمشاركته المكان الوحيد الآمن على ظهر الأرض .. (بارادايس) .

(*) عش الغراب – فطر نباتى ، وهو الطور المتحوصل من فطريات عليا ، وينمو فى الغابات ، أو الأماكن الرطبة ، وهو متعدّد الأشكال ، عديم الرائحة ، تستخدم بعض أنواعه كطعام ، فى حين تتميّز الأنواع الأخرى بسمّية شديدة ، ويوجد منه أكثر من ثلاثة آلاف نوع ، فى (أمريكا الشمالية) وحدها .

كانت اللوحة الخامسة ، تمثل ذلك الرجل ، وقد جلس فوق عرش كبير ، وإلى جواره جلست شبيهة الأميرة ، على عرش آخر ، وأمامهما تلك الأسر ، تسجد لهما فى خضوع ، فابتسمت الأميرة فى زهو ، وهى تقول :

ـ وأدرك الجميع أن جدّى الأعظم قد منحهم الحياة ، وأنقذهم من موت محقق ، فاعترفوا له بالفضل ، وأسلموه قيادتهم .

وتوقفت لحظة ، قبل أن تضيف :

ـ ولكن سطح الأرض لم يعد صالحًا للحياة .. كان يحتاج إلى ألف عام على الأقل ، حتى تتلاشى الغازات القاتلة ، والتلوثات النووية ، وهذا يعنى أن الجميع سيبقون فى (بارادايس) ، حتى تحين نهايتهم .

انتقلا إلى اللوحة السادسة ، وتوقّفا أمامها لحظات فى صمت ..

كانت تمثّل الرجل الأشيب ، وهو يقف وسط معمل فاخر ، يكتظ بأجهزة حديثة ، وهو يعمل فى جدّ واهتمام ، وأشارت إليه الأميرة ، قائلة :

ـ ومن هنا كانت البداية .

والتقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تستطرد :

ـ كانت فرصة مثالية ، لخلق عالم جديد .. عالم مثالى ، لا أثر فيه للخلافات ، ولا وجود فيه للحروب والأزمات .. عالم أشبه بالجنة .

قال (نور) فى هدوء :

ـ حلم ساذج وسخيف .. من المستحيل صنع جنة على الأرض ؛ لأن المكان الوحيد للجنة هو السماء ، حيث أرادها الله (سبحانه وتعالى) .

ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

- ولكن الحلم تحقق ، وواصلت (بارادايس) الحياة ، لسبعة عشر ألفًا من السنين .

كانت اللوحة السابعة والأخيرة تحمل رسمًا للرجل الأشيب ، وأمامه عدد لا حصر له من رجال يشبهونه تمام الشبه ، ونساء وفتيات هن صورة طبق الأصل من الأميرة ، ثم جيش من العمالقة ، لهم نفس هيئة هؤلاء ، الذين هاجموا مبنى المخابرات العلمية ، فقال (نور) متسائلاً :

- لماذا يبدو الجميع متشابهين .. أهو رمز للتآخى والتقارب ؟
أطلقت ضحكة طويلة ، وقالت :

- بل هى قمة العبقرية ، وذروة التفوّق ، فى تاريخ (بارادايس) كله .. إننى لم أخبرك من هو جدّى الأعظم .. إنه أشهر وأنجح علماء الوراثة والجينات فى عصره ، وأستاذ فن التزاوج اللاجنسى ، فى العالم القديم .. ولقد استغلّ جدّى الأعظم علومه ومعارفه وعبقريته ، ليصنع عالمه الجديد .. عالم (بارادايس) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- ماذا تعنين ؟

أجابته فى زهو :

- لقد وضع جدّى الأعظم قاعدة لا حياد عنها ، للتكاثر فى (بارادايس) .. إنه تكاثر لا جنسى ، بحيث تؤخذ خلية من الأشخاص المنشودين ، ويتمّ زرعها فى بويضة ، بعد إزالة جيناتها وكروموسوماتها بالأشعة فوق البنفسجية ، وبعد أن يتمّ الإخصاب ،

يعاد زرع البويضة المخصّبة فى رحم أنثى ، فيستمر الحمل ، ويأتى الجنين الجديد نسخة طبق الأصل من صاحب الخلية الأولى ، نظرًا لأنه لا يحوى سوى جيناته وحدها ، دون جينات الأم[*] .. وينمو الجنين ، والطفل ، حتى يصير ناضجًا ، ومماثلاً تمامًا لصاحب الخلية .

وابتسمت فى فخر ، قبل أن تستطرد :

- وهكذا أتى الجيل الثانى فى (بارادايس) ، فى ثلاث صور فحسب .. كان ثلثه نسخة طبق الأصل من جدّى الأعظم ، وثلثه الثانى يطابق جدّتى العظمى تمام المطابقة ، والثلث الأخير هو الطراز المقاتل .. أو الطراز العملاق ، الذى واجهته من قبل .

سألها (نور) :

- وماذا عن الباقين ؟

لوّحت بكفها فى لامبالاة ، وهى تقول :

- ذهبوا .. اندثروا .. انتهوا مع مرور الزمن ، ولم يعد هناك سوانا .

قال (نور) :

- وجدّك الأعظم هو الذى فعل هذا ؟

أجابته :

(★) تعرف هذه الوسيلة ، باسم التزاوج اللاجنسى ، وهى مطبّقة عمليًا ومعمليًّ ، منذ عام ١٩٨٥ م ، وأتت بنتائج ناجحة للغاية ، مع حيوانات التجارب ، وبعض العلماء يؤكّد أنها نجحت مع بعض المتطوعين من البشر ، والذين يحتفظون بأسمائهم سرًا ، منذ عام ١٩٨٩ م

ـ بالطبع .. إنه عبقرى .. صانع (بارادايس) كلها .. ألا يستحق كل الفخر .

قال (نور) :

ـ بل يستحق ما هو أكثر .

سألته فى لهفة وجذل :

ـ يستحق ماذا ؟!

أجابها فى حزم :

ـ الإعدام .

وتوتَّر الموقف كله ..

★ ★ ★

زمجر زعيم قطيع الذئاب ..

وكانت زمجرته هى إشارة البدء ..

وانقض القطيع كله دفعة واحدة على فريسته ..

على (أكرم) ..

وأطلق أكرم ساقيه للرياح ، وانطلق يعدو بكل قوته ، والذئاب الجائعة تطارده فى وحشية مخيفة ..

ثم قفز (أكرم) يتسلَّق الصخور ..

وقفزت الذئاب خلفه ..

وشعر بالأنياب تنغرس فى ساقيه وسرواله ، فجذب قدميه بأقصى قوة ، وترك الأنياب الحادة تمزِّق أطراف سرواله السفلى ، وهو يواصل تسلُّقه ..

وتوقَّفت الذئاب حائرة ، غاضبة ، عاجزة عن التسلُّق خلفه ..

فيما عدا الزعيم ..

كان زعيم الذئاب ـ كالمعتاد ـ هو أقواها ، وأشرسها ، وأكثرها عنادًا وإصرارًا ؛ لذا فقد جاهد ، وقاتل ، وراح يتسلَّق الصخور خلف (أكرم) ، وهو يطلق زمجرة شرسة مخيفة غاضبة ..

وبقفزة قوية ، لحق به ..

وتعلَّقت مخالب الذئب بحزام (أكرم) ، الذى دفع الذئب بيده فى قوة ، ثم استدار إليه ، وقال فى توتُّر :

ـ حسن .. أنت أردت هذا .

وأطلق النار ..

وتفجَّر رأس الذئب ، فهوى من فوق الصخور ، وسقط وسط رفاقه ..

وتسلَّلت رائحة الدم إلى رءوس الذئاب ، فأثارت جنونهم ، وانقضوا على جثة زعيمهم السابق ينهشونها ويمزقونها بلا رحمة ، و (أكرم) يراقبهم من أعلى ، ويغمغم :

ـ حقًا !.. إنهم ذئاب .

أخرج شريحة أخرى ، من قميصه الممزَّق ، وضمد بها جراح ساقيه ، ثم واصل تسلُّقه للجبل ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ، لماذا تبدو هذه العملية سخيفة منذ بدايتها .. لقد تمزَّق جسدى كله تقريبًا ، ولم أبدأ العملية بعد .

تسلَّق حتى بلغ مدخل أحد كهوف (تاسيلى) الشهيرة ، فتوقف عنده يلهث ، ثم أخرج مصباحه اليدوى ، وأضاء الطريق أمامه ، وهو يبتسم قائلاً :

- عجبًا !.. لست أجد فارقا كبيرًا ، بين عملى السابق فى المناجم ، وهذه المهمة السخيفة .. كلها كهوف على أية حال .

تقدم داخل الكهوف فى بساطة ، شأن من اعتاد العمل فى الكهوف طويلا ، وراح ضوء مصباحه اليدوى يكشف الطريق أمامه ، ويوضح كل الرسوم والنقوش ، على جدران الكهف ، فرفع (أكرم) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

- إنها رسوم عجيبة حقًّا .. ترى من صنعها ؟ وما الذى تعنيه ؟

واصل طريقه ، متأملا الرسوم والنقوش ..

ثم فجأة ، سمع تلك الحركة ..

حركة خافتة ، على قيد أمتار قليلة منه ، سمعها فى صعوبة ، ولكنه كتم مشاعره فى سرعة ، وتحرك فى هدوء ، وكأنه لم ينتبه الى شىء ، ثم توقف متطلعًا إلى الجدار ، وهو يقول :

- عظيم .. كلها نقوش جميلة وعظيمة .

وفجأة ، أدار مصباحه إلى اليسار ، وهو يستطرد :

- ألا توافقنى على هذا يا صديقى ؟

سقط ضوء المصباح على آخر وجه يحب رؤيته ، فى مثل هذه الظروف ..

وجه أحد العمالقة المتماثلين ..

وتراجع (أكرم) بقفزة قوية إلى الخلف ، وهو يقول :

- آه .. رويدك يا رجل .. إنه مجرد خطأ غير مقصود .. كنت فى طريقى إلى محطة الحافلات العامة ، عندما ضللت طريقى ، ووجدت نفسى هنا .

حدجه العملاق بنظرة قاسية جامدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فخفض (أكرم) يده فى بطء ، ليستل مسدسه ، وهو يتمتم :

- لا بأس .. سأنصرف على الفور ، مادام وجودى يثير غضبك إلى هذا الحد .

قالها وانتزع مسدسه من جرابه بحركة سريعة ، وصوبه إلى العملاق ، و ...

وفجأة ، أتته ضربة مباغتة من الخلف ..

ضربة من عملاق آخر ، أصابت يده ، وألقت مسدسه بعيدًا ، ثم أسقطته أرضًا ، وظهر من خلفه العملاق الثانى ، وهو يحدجه بنظرة مماثلة ..

ثم اقترب منه العملاقان ، وانحنيا نحوه ..

ولم يعد هناك مجال للفرار ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الأميرة فى غضب هادر ، وهى تقول :

- هل تعلم أننى أستطيع إصدار أمر بإعدامك فورًا ؟

قال (نور) فى سخرية :

- دون محاكمة ؟

هتفت فى غضب :

- لا توجد محاكمات هنا فى (بارادايس) .. القانون ينفذ على الفور .

ابتسم فى تهكم ، وهو يقول :

- هل رأيت أن جدك الأعظم كان يستحق الإعدام فعلًا ؟

هتفت :

ـ لماذا ؟.. ألأنه صنع عالمًا مثاليًا ؟

أجابها (نور) :

ـ بل لأن عبقريته المزعومة وصلت به إلى حافة الجنون ، فتصوَّر أنه إله ، وليس مجرَّد بشرى ، مثل أولئك الذين جعل من نفسه قاضيًا ، يحكم على وجودهم ومصائرهم .. بأى حق أوقف جدك الأعظم قانون الطبيعة ، وقرَّر أن يكون التكاثر فى جنته الزائفة صناعيًا ؟!.. من منحه حق اختيار الأجيال القادمة ، ورفض ما لا يحلو له منها ؟

صاحت :

ـ بحق الوجود .

قال (نور) فى حدة :

ـ أى وجود ؟.. ما صنعه أجدادك هو أقرب إلى العدم ، منه إلى الوجود .. مجرَّد نسخ متشابهة من شخص قتله الغرور ، وصوَّر له أنه أفضل صورة من صور الخلق .

بدا الغضب الشديد على وجهها ، وقالت :

ـ من الواضح أنك لا تفهم شيئًا .

ثم لوَّحت بذراعها ، مستطردة :

ـ اتبعنى ، وستفهم أكثر .

قادته إلى قاعة أخرى ، اكتظت بالبشر ، من طرازين لا غير .. طراز يشبه جدها الأعظم ، وطراز يشبهها .. أو هو قريب الشبه منها ، فسألها (نور) :

ـ لماذا تبدين منفردة ؟

رفعت رأسها فى اعتداد ، وقالت :

ـ لأننى الامبراطورة المقبلة .

كانت ستكتفى بهذا القول ، ولكنها شعرت بالرغبة فى توضيح الأمر له ، فتابعت :

ـ أنا من طراز خاص وفريد ، يتم تحديثه وتطويره ، على مرّ الأجيال .. وهذه أيضًا كانت فكرة جدى الأعظم .. الطراز الإمبراطورى .. لقد جمع جينات أفضل الصفات ، ودمجها فى بعضها البعض ، لينتج طرازًا خاصًا ، يكون أنثى فى كل مرة ، لها أفضل السمات والصفات ؛ لتصبح إمبراطورة (بارادايس) ، ولم تتوقَّف تجارب التحديث والتطوير ، للطراز الإمبراطورى ، منذ آلاف السنين .. ولقد ماتت آخر إمبراطورة منذ أسبوعين ، وستنتهى فترة الحداد الخاص بها صباح الغد ، وعندئذ يتم تتويجى كإمبراطورة لـ (بارادايس) ظهر الغد .

ثم رفعت رأسها ، وتألقت عيناها ، وهى تقول :

ـ ويبدأ عهد جديد .

سألها :

ـ ماذا تعنين بالعهد الجديد؟!

ابتسمت لحظة فى غموض ، ثم قالت :

ـ ألم تسأل نفسك : لماذا لا يوجد عملاق واحد ، وسط شعب (بارادايس) . الذى تراه أمامك ؟

قال (نور) :

ـ إننى أنتظر التفسير منك .

أطلقت ضحكة قصيرة ، وأشارت بيدها إشارة عجيبة ، فانحنى الجميع أمامها ، ثم انصرفوا ، وأخلوا القاعة كلها ، فقالت هى :

ـ كم تبلغ مساحة هذه القاعة فى رأيك ؟

قاس ببصره أبعاد القاعة ، التى بدت له واسعة وفسيحة ، وأكبر من أية قاعة مغلقة أخرى ، رآها فى حياته كلها ، وقال :

ـ مائة فدان ، على أقل تقدير .

صعدت فوق منصة صغيرة ، وقالت :

ـ تعال إلى جوارى .

صعد إلى جوارها فوق المنصة ، وضغطت هى عدة أزرار ، ثم توقفت ..

اتسعت عيناه فى دهشة ..

لقد انفتحت أرضية القاعة ، فى عدة مواضع مختلفة ، وظهرت من تحتها آلاف التوابيت الزجاجية ، التى يحوى كل منها جسد أحد العمالقة ، فى حالة تجمّد ، وهتف (نور) :

ـ يا إلهى !.. إنه جيش كامل .

ضغطت الأميرة الأزرار مرة أخرى ؛ فعادت الأرضية تنطبق ، وقالت هى :

ـ نعم .. جيش من مليون مقاتل من العمالقة ، كل منهم يملك مسدس صواعق ، لا مثيل له على كوكبك .. هذا بالإضافة إلى ترسانة هائلة ، من أسلحة لن تخطر بخيالك ، مهما كنت ألمعيًا وذكيًا .. ترسانة تكفى لتحطيم كوكب الأرض كله .

هتف (نور) فى دهشة :

ـ ومن أين حصلت عليها ؟

أجابته فى فخر :

ـ الجيش والترسانة من صنع شعبنا ، عبر آلاف السنين .. هذا الجيش من العمالقة ، الذى تراه أمامك ، لم يولد كله فى آن واحد .. بل وُلِد عبر سبعة عشر ألف عام .. وكلهم نسخة طبق الأصل ، من بعضهم البعض ، حتى فى تركيبهم الجينى ، وبصمات أصابعهم .. كلهم نشئوا من مصدر واحد ، وكلهم تلقوا التدريبات القتالية نفسها .. وكلما بلغ أحدهم سن الخامسة والعشرين ، يتم تجميده ، لينضمّ إلى جيش (بارادايس) ، الذى يستعد للنهوض فى أية لحظة ، لتلبية النداء ، والدفاع عن شعبنا .. ولقد أيقظت عشرة منهم فحسب ، ففعلوا ما روّعكم جميعًا .

قال (نور) :

ـ عشرة من أجل استعادة زهرة واحدة .. رمز ملكى بسيط .

تألّقت عيناها ، وهى تقول :

ـ هذه الزهرة ليست مجرّد رمز .. إنها أعظم من ذلك .. أعظم بكثير .

قال (نور) فى حدة .

فليكن .. لقد استعرضت قوتك بما فيه الكفاية .

تطلّعت إليه ، وقالت فى سخرية :

ـ استعرضت ماذا ؟.. لا يا رجل .. إننى لم أستعرض قوتى بعد

ثم شرد بصرها ، وتألّقت عيناها أكثر ، وهى تقول :

ـ سيبدأ استعراضها غدًا .. بعد التتويج مباشرة .

لم ترق له لهجتها ، فقال فى حذر :

ـ ما الذى ترمين إليه بالضبط ؟

تطلعت إليه لحظة فى صمت ، وعيناها تحملان خبثًا وغموضًا ، ثم قالت :

ـ هل تعلم يا (نور) .. لقد كان أجدادى سلبيين للغاية .. اكتفوا بتطوير أجيالهم القادمة ، وتوسيع وتحسين (بارادايس) ، خاضعين لقانون وضعه جدنا الأعظم ، يمنع اتصال أهل (بارادايس) بالعالم الخارجى .

وعادت عيناها تبرقان ، وهى تقول :

ـ أما أنا ، فسأتمرّد على هذه القوانين السلبية الجامدة .

سألها فى قلق :

ـ وكيف تفعلين ؟

تطلعت إليه لحظة بنظرة جامدة ، ثم قالت :

ـ بعد تتويجى مباشرة ، سيبدأ العدّ التنازلى للحظة الصفر ، التى أخطّط لها منذ عام كامل .

وبرقت عيناها فى شدة هذه المرة ، وهى تستطرد :

ـ سأطلق جيشى وأسلحتى على الأرض كلها .. لن أصبح مجرّد إمبراطورة لشعب محدود ، يحيا كالجرذان ، تحت سطح الأرض .. بل سأصبح أعظم إمبراطورة فى التاريخ .. إمبراطورة العالم أجمع .

وأدرك (نور) ما ترمى إليه .

★ ★ ★

١٢ ـ العالم الجديد ..

سقط (أكرم) على ظهره ، بين عملاقين ، اتجها نحوه فى صمت ، وعيونهما تحمل قسوة لا مثيل لها ، فهتف بهما :

ـ مهلًا .. إنكما لن تقتلا شابًا أعزل .

ثم ثنى ركبته اليمنى فى سرعة ، وانتزع خنجرة ، من غمده المربوط حول ساقه ، ورمى به أقرب العملاقين إليه ..

وانغرس الخنجر فى قلب العملاق ، الذى أطلق زمجرة مخيفة ، وتراجع فى عنف ، حتى ارتطم ظهره بالجدار ، ثم سقط على ركبتيه ..

وهنا أطلق العملاق الثانى صرخة غاضبة ، وانقض على (أكرم) ، وانتزعه من مكانه فى عنف ، وحمله إلى أعلى ، ثم ضرب الجدار بظهره فى قوة ..

وأطلق (أكرم) صيحة ألم ، والعملاق ينتزعه من الجدار ، ثم يعود ليضربه به فى عنف ..

وصاح (أكرم) :

ـ كفى يا رجل .. إنك تقتلنى ..

كانت العبارة بلا معنى تمامًا ، فالعملاق كان يسعى لقتله بالفعل ..

ولقد أحاط العملاق عنق (أكرم) بأصابعه الفولاذية ، ورفع جسده عن الأرض ، وضغط العنق فى قوة ..

وصرخ (أكرم) :

ـ إننى أختنق .

ثم تذكَّر فجأة مسدسه الثانى ، فانتزعه من غمده فى سرعة ، وصاح :

ـ فليكن .. خذها منى .

وألصق فوهة مسدسه بصدغ العملاق ، ثم أطلق رصاصاته ثلاث مرات متتالية ..

ورأى رأس العملاق تنفجر ، ثم تتراخى أصابعه عن عنق (أكرم) ، الذى سقط على قدميه ، وهو يلهث فى شدة ..

وفجأة ، انفجر جسد العملاق ..

انفجر كله دفعة واحدة ، وتحوَّل إلى أشلاء ودماء ..

وحدَّق (أكرم) فيما حدث بدهشة ، ثم أدار عينيه إلى العملاق الآخر ، الذى سقط على ركبتيه ، وراح يلهث فى شدة ، وقال :

ـ عجبًا !.. لماذا انفجر أحدهما على الفور ، فى حين بقى الآخر هكذا ؟

انعقد حاجباه ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم هتف :

ـ يا إلهى !!.. نعم .. هذا صحيح .. لقد توقَّف قلب الأوَّل عن النبض ، فانفجر جسده . أما الثانى ، فما يزال على قيد الحياة ، ولذلك بقى جسده سليمًا .. يا إلهى !.. لقد فهمت .. أحدهم وضع فى أجساد هؤلاء العمالقة قنبلة موقوتة ، ترتبط بنبضات قلوبهم ، بحيث ينفجر جسد الواحد منهم ، إذا ما توقَّف قلبه عن النبض .. يا لها من خطة شيطانية !

ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يستطرد :

ـ و (نور) يعرف هذا .. نعم .. يعرفه .. لهذا طلب منى ألا أقتل العملاق السادس .. يا له من داهية !



وأطلق (أكرم) صيحة ألم ، والعملاق ينتزعه من الجدار ، ثم يعود ليضربه به فى عنف ..

تأوّه العملاق الثانى ، فالتفت إليه (أكرم) ، وأدار نحوه فوهة مسدسه ، ولكنه رآه يزحف نحو بقعة ما فى الحائط ، فتبعه ببصره فى اهتمام ، حتى بلغ الجدار ، ومدّ يده فى صعوبة ، وضغط حجرًا بارزًا فيه ..

ودار جزء من الجدار حول نفسه ..

وانكشف مدخل سرّى ..

وزحف العملاق عبر المدخل السرّى ، فوثب (أكرم) خلفه ، وهو يتمتم :

- يا لها من ضربة حظ !!.. لقد عثرت على المدخل السرّى .

أغلق العملاق المدخل خلفه ، وزحف عدة أمتار ، دون أن ينتبه الى وجود (أكرم) ، ثم لم يلبث أن توقف ، وانتفض جسده فى قوة ، و ...

وانفجر ..

وفى هذه المرة ، كان الممر الذى يقود إليه المدخل السرى ضيقًا ، محدودًا ؛ لذا فقد أطاح الانفجار بجسد (أكرم) فى عنف ، وألقى به بضعة أمتار ..

وسقط (أكرم) أرضًا ، وسقط معه مصباحه اليدوى ، ثم تدحرج فى عنف ، وتحطّم المصباح ، وساد ظلام دامس مخيف ..

ووجد (أكرم) نفسه يهوى فجأة ..

يهوى فى حفرة عميقة ..

عميقة للغاية ..

★ ★ ★

التقى حاجبا (نور) فى قوة ، وهو يحدّق فى وجه الأميرة ، ثم قال فى حدة :

- قول أحمق .. سمعته من الكثيرين ، دون أن يحقّقه أحدهم قط .

هزّت كتفيها فى لامبالاة ، وقالت :

- أما أنا ، فأمتلك القدرة على تحقيقه .. لدى هنا جيش لا يشقّ له غبار ، وترسانة أسلحة رهيبة ، و (بارادايس) محاطة بجدار قوى ، من مادة (السوبر تيتانيوم) .. وهى أقوى مادة معروفة ، لاتخترقها حتى الانفجارات النووية ، وهذا يعنى أنه ما من سبيل للوصول إليها ، أو قصفها ، حتى باستخدام مائة قنبلة نووية .

قال (نور) :

- لا يوجد جدار بهذه القوة .

هتفت :

- إلا (السوبر تيتانيوم) .. إنه معدن جبار .. صنعنا منه يومًا كرة كبيرة ، وأجرينا داخلها تفجيرًا نوويًا ، فلم تتأثر جدرانها أدنى تأثير .. وهذا يعنى أنه لن يتأثر أيضًا ، لو أصابه التفجير النووى من الخارج ، ولكنك لن تفهم هذا ، ولن تصدّقه ، فلن يمكنكم التوصل إلى مادة شبيهة بـ (السوبر تيتانيوم) ، قبل عشرين عامًا من الآن .. هذا لو كنتم حسنى الحظ .

قال (نور) فى صرامة :

- فليكن .. جدارك الخارق هذا لن يحميك منّا ، لو أردت تنفيذ فكرتك المجنونة .

مطت شفتيها ، وهى تقول :

ـ لماذا يحزنك الأمر إلى هذا الحد ؟.. إنك لن تخسر الكثير باحتلالى الأرض .. بل ستكون أحد الرابحين .. بل أكبر الرابحين .

سألها فى حذر :

ـ ماذا تعنين بالضبط ؟

منحته أجمل ابتساماتها ، وأكثرها عذوبة ، وهى تقول :

ـ إنك الطراز الجديد .

حدق فى وجهها بنظرة مستنكرة ، فتابعت بسرعة :

ـ إننى أخالف قوانين (بارادايس) منذ عشر سنوات تقريبًا ، وأتابع كل ما يحدث فى العالم الخارجى ، عبر أجهزة مراقبة سرية ، لا يعلم بوجودها سواى .. ولقد رأيت ما فعلته أنت ، عندما احتل غزاة (جلوريال) كوكب الأرض ، وكيف قاومتهم ، وهزمتهم .. وأثار هذا إعجابى واحترامى ، وتساءلت : لماذا لا يوجد فى (بارادايس) طراز مثلك ؟!.. إنك طراز نادر يا (نور) .. طراز يجمع ما بين الذكاء والقوة والشجاعة معًا .. ولقد اخترتك لتثرى (بارادايس) بخلاياك يا (نور) .. سنصنع منك آلاف النسخ .. بل سنصنع منك جيشًا كاملاً .

صاح بها (نور) :

ـ كفى .. هذا جنون .. إنكم لن تحصلوا منى على خلية واحدة .

ثم وثب فجأة نحو زر فتح الأرضية ، وضغطه ، فعادت الأرضية تفتح ، فى مواضع شتى ، كاشفة ذلك الجيش العملاق ، المتجمد فى توابيته الذهبية ، وهو يستطرد :

ـ سأدمر جيشك هذا .. سأدمر قوتك كلها ، قبل أن يستفحل حلمك المجنون ، ويسىء إلى عالمى كله .

صاحت الأميرة فجأة :

ـ أوقفوه .

فوجئ (نور) بالأبواب تفتح بغتة ، ويعبرها عشرة من العمالقة ، انطلقوا نحوه ، فوق ممرات ضيقة ، تفصل الفجوات بعضها عن بعض ..

ولم يكن هناك مجال للتراجع ..

لذا فقد هاجم (نور) ..

اختار أضعف نقطة ، حيث يهاجمه عملاق واحد من الشرق ، فهاجمه ، وهو يهتف :

ـ لن يمكنك منعى هذه المرة .

طوح العملاق قبضته ليلكم ، ولكن (نور) انحنى فى خفة ، وركله ركلة فنية مدروسة ، فأفقده توازنه ، وأسقطه فى إحدى الفجوات ، ثم توقف ، وانتزع حزامه عن وسطه ، وهو يهتف :

ـ أخطأتم عندما تركتم لى حزامى هذا أيتها الأميرة ، فهو فى الواقع ليس سوى قنبلة شديدة التدمير ، ما أن أنزع فتيلها ، وألقيها داخل إحدى الفجوات ، حتى يحدث انفجار هائل ، سيلتهم القاعة كلها فى لحظات .

قالت الأميرة فى هدوء :

ـ لن تفعل .. لقد درست شخصيتك جيدًا ، وأعلم أنك لست ممن يميلون إلى العنف والقتل .. إنك لن تنسف شيئًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ أخطأت أيتها الأميرة .. صحيح أننى أكره العنف والتدمير ، ولكن هذا لا يعنى أن أسمح لك ، أو لغيرك ، بتدمير شعبى ، والسيطرة على شعوب العالم أجمع .

بدا عليها القلق ، وهى تقول :

ـ ولكنك ستلقى حتفك معنا .

قال فى حزم :

ـ فليكن .. إننى أبذل حياتى عن طيب خاطر ، فى سبيل حرية العالم كله .

التقى حاجباها فى غضب ، ثم قالت :

ـ أنا أيضًا لم أفقد أسلحتى كلها .

ورفعت ذراعها ، هاتفة :

الآن .

وهنا انفتحت فجوة خاصة فى سقف المكان ، وتدلّى منها جسد مقيّد بالحبال ، فهتف (نور) ، وقلبه ينتفض فى لوعة :

ـ يا إلهى !.. (سلوى) ؟!

وصاحت (سلوى) :

ـ النجدة يا (نور) .. النجدة .. انقذنى .

ابتسمت الأميرة فى ظفر ، وقالت :

ـ أرأيت يا (نور) .. إننى مازلت أسيطر على الموقف كله .. إنك لن تجرؤ على إلقاء قنبلتك ..

أغلق (نور) عينيه فى قوة ، والألم يعتصر قلبه ..

كان عليه أن يقرّر ..

(سلوى) ، أم الأرض ..

وكان قلبه يهتف باسم (سلوى) دون تردّد ..

ولكن عقله رفض هذا الاختيار ..

وكذلك مسئوليته ..

ليس من حقه أن يختار حياته ، أو حياة زوجته ، ويضحّى فى سبيل هذا بمصير كوكبه كله ..

لذا فقد هتف (نور) فى حزم :

ـ لا .. لن أتراجع .

ورفع الحزام المتفجّر عاليًا ، ولكنه سمع (سلوى) تصرخ :

ـ احترس يا (نور) .

ثم هوت ضربة عنيفة على مؤخرة عنقه ، قبل أن يلتفت خلفه ، و ...

وأظلمت الدنيا كلها ..

* * *

« النتائج سلبية تمامًا .. »

قال الدكتور (حجازى) هذه الكلمة فى حسم ، فعقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهزّ رأسه فى حيرة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. هذا يزيد اللغز تعقيدًا .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ بل يجعله محصورًا فى تلك الزهرة السوداء ، فأيًا كان المكان ، الذى تسبّب فى مصرع (على ثابت) ، فوفاته كانت طبيعية ، بالنسبة لظروفه ، ولم يكن للمكان نفسه دخل فى هذا .

قلب القائد الأعلى كفيه ، وقال :

ـ ونحن لا نملك تلك الزهرة .. إذن فقد فقدنا كل الخيوط .

رفع الدكتور (حجازى) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ إلا خيطًا واحدًا .

تطلّع إليه القائد الأعلى فى تساؤل ، فاستطرد :

ـ الدكتور (ناظم) .

زفر القائد الأعلى فى أسف ، وقال :

ـ إنه لم يستعد وعيه بعد ، ولم يعلن ما لديه .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ ألا يعلم أى شخص آخر هذا السرّ ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ الجميع لقوا مصرعهم ، واندفن السرّ معهم .

ثم تنهّد فى مرارة ، وأضاف :

ـ أما (نور) و (أكرم) ، فقد انقطعت اتصالاتهما تمامًا ، ولم نعد نعلم شيئًا عنهما .

بدا القلق على وجه الدكتور (حجازى) ، وتطلّع إلى الشمس التى بدأت مرحلة شروقها ، وقال فى لهفة :

ـ ألا يمكن إرسال فريق بحث ، مع شروق الشمس ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس قبل أربع وعشرين ساعة ، كما طلب (نور) ؛ حتى لا نفسد مهمته .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ يا إلهى !.. سيتوقّف قلبى ، قبل أن تنتهى هذه المدة .

سمع الاثنان أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، فضغط القائد الأعلى زرّه ، وهو يقول فى لهفة :

ـ ماذا هناك ؟

رأى على شاشة الجهاز صورة مدير القسم الطبى ، وهو يقول :

ـ سيّدى القائد .. لقد استعاد الدكتور (ناظم) وعيه ، وهو يطلب مقابلتك على الفور .

هبّ القائد الأعلى ، وهو يهتف :

ـ سأحضر على الفور .

وأسرع يغادر مكتبه ، وهو يستطرد :

ـ انتظرنى يا دكتور (حجازى) .. سأعود إليك بسرعة .

استقلّ مصعده الخاص ، وصعد إلى القسم الطبى ، واتجه مباشرة إلى حجرة الدكتور (ناظم) ، الذى بدا أكثر تماسكًا هذه المرة ، وهو يسأله :

ـ سيّدى القائد .. هل خرج (نور) فى مهمته ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ نعم يا دكتور (ناظم) ، لقد خرج (نور) فى مهمته ، منذ بضع ساعات .. ولكن حمدًا لله على سلامتك .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ أشكرك يا سيادة القائد الأعلى ، ولكن لدى معلومات بالغة الأهمية ، لابد أن يعرفها (نور) .. معلومات بشأن تلك الزهرة السوداء .

بدا الاهتمام والقلق على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ أهى معلومات بالغة الخطورة ، إلى هذا الحد ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ بل هى أخطر مما تتصوّر يا سيّدى .. استمع إلىّ جيدًا .

واستمع إليه القائد ..

واتسعت عيناه ، وهو يستمع ..

اتسعتا فى ذهول ..

★ ★ ★

شعر (نور) بآلام فى ذراعيه ، وهو يستعيد وعيه هذه المرة ، وهمهم بكلمات لم يدرك هو نفسه معناها ، ولكنه سمع صوت زوجته (سلوى) تقول :

ـ (نور) .. هل استعدت وعيك ؟.. أأنت بخير ؟!

فتح عينيه فى صعوبة ، ورأى حوله قاعة واسعة يتصدرها عرش كبير ، وهو مقيّد فى منتصفها تمامًا مع (سلوى) ، ظهرًا لظهر ، حول عمود اسطوانى من الرخام ..

وأمامهما كانت تقف الأميرة ..

وكانت تبتسم فى سخرية وشماتة ..

وبصوت يحمل الرنتين ، قالت الأميرة :

ـ لقد استعدت وعيك بسرعة يا (نور) .

تطلّع إليها دون أن ينطق ، فلوّحت بكفها ، قائلة :

ـ معذرة يا رجل ، ولكننى لم أعد بحاجة إليك .. لقد حصل علماؤنا أثناء غيبوبتك ، على كمية كافية من خلاياك ، تصلح لإنتاج جيش كامل من أشباهك ، وهكذا لن أشعر بالأسف ، عندما يتمّ إعدامك .

شهقت (سلوى) ، وعقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أهذا قرارك النهائى ؟

رفعت سبّابتها أمام وجهها ، وهى تقول فى حزم :

ـ وأنا لا أتراجع عن قراراتى قط .

ثم مالت نحوه ، متابعة :

ـ وهذا ما فعلته مع (على ثابت) .

هتفت (سلوى) :

ـ إذن فأنت قتلته .

هزّت الأميرة رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ كنت أتمنى هذا ، ولكنه لم يمنحنى الفرصة .. لقد كشف مدخلنا السرّى هو وبعثته ، وتم أسرهم جميعًا ، وهو الوحيد الذى اقتنع بالعيش معنا ، فأعدمنا الباقين ، واحتفظنا به ، وكان يبدو سعيدًا طوال الوقت ، حتى صارحته يومًا بطموحى ، وأطلعته على سرّ الزهرة السوداء .

بدا الاهتمام على وجه (نور) ، وهى تتابع :

ـ لم يكد يعلم ، حتى أصابه الجنون ، وراح يجادلنى ، ويحاول إقناعى بالتخلّى عن فكرة غزو العالم ، فتوجست منه خيفة ، وأصدرت أوامرى بسجنه فى جُبّ خاص ، حتى يقضى نحبه عطشًا وجوعًا .. ولكنه نجح فى الفرار بوسيلة ما ، وسرق الزهرة ، وحاول الخروج من هنا .

التقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تستطرد :

ـ كان من الممكن أن نتركه ، لثقتنا فى أن أحدًا لن يصدّق قصته ،

ولكن سرقته للزهرة لم تترك لنا الخيار .. كان لابد من استعادتها بأى ثمن ، حتى يتمّ التتويج ، ولهذا غامرنا بالصعود خلفه ، ومطاردته ..

ارتسمت على شفتيها ابتسامة جذلة ، وكأنما يروق لها هذا الجزء من الرواية بالذات ، قبل أن تتابع :

- وبصفتى الإمبراطورة المقبلة ، فقد أصدرت أوامرى باستعادة الزهرة ، ووجدتها فرصة مناسبة للإعلان عن وجودنا ، قبل أن يتم تتويجى ، بعد ساعات قلائل ، فى هذه القاعة بالذات .

ارتفع صوت مباغت ، يقول :

- قرار أحمق .

هتف (نور) ، وهو يرى (أكرم) ، يخرج من باب سرّى ، خلف العرش مباشرة :

- (أكرم) .. كيف وصلت إلى هنا ؟!

وصاحت (سلوى) فى فرحة :

- (أكرم) .. أظنها أسعد لحظة رأيتك فيها .

أما الأميرة ، فانعقد حاجباها فى دهشة وغضب ، وهى تقول :

- من أنت ؟.. وكيف وصلت إلى هنا ؟!

صوّب (أكرم) مسدسه إليها ، وهو يقول :

- مصادفة أيتها الجميلة .. مصادفة عجيبة ، قادتنى إلى هنا .. لقد عبرت مدخلاً سريًا ، خلف عملاق مصاب ، ثم سقطت فى فجوة عميقة ، قادتنى إلى ممر سرّى آخر ، أكثر أناقة ونظافة ، وهذا الممر قادنى مباشرة إلى هنا .. أراهن أنه ممر فرار سرّى ، لا يستخدمه سوى الملوك ، عندما يرغبون فى الفرار ، من ثورة شعبية .

قالت فى برود :

- لا توجد ثورات فى (بارادايس) .

هتف (أكرم) :

- (بارادايس) ؟!.. هل تطلقون على هذا المكان اسم (الجنة) ؟!.. يا للسخافة !.. بعد كل ما واجهته ، حتى أصل إلى هنا ، أجد أنه من الأنسب أن تطلقوا عليه اسم (الجحيم) .

قال (نور) :

- (أكرم) .. دعك من هذا الأسلوب المسرحى ، الذى يناسب الروايات ، وحل وثاقنا أوّلاً .

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول :

- على الرحب والسعة أيها القائد .

اتجه نحو (نور) و (سلوى) ، دون أن يرفع عينيه عن الأميرة ، التى ابتسمت فى خبث وغموض ، وهى تقول :

- هل تتصوّر أنك ربحت هكذا ؟

قال فى سخرية :

- ألديك رأى آخر ؟

ابتسمت أكثر ، وهى تقول :

- بل آراء .

وبإشارة بسيطة منها ، انفتحت الأبواب بغتة ، وظهر على عتباتها العمالقة العشرة ، الذين خصّصتهم الأميرة لحمايتها الشخصية ..

واندفعوا كلهم نحو (أكرم) ، فى آن واحد ..

وأطلق (أكرم) رصاصات مسدسه ..

أطلقها على عملاق ، وثان ، وثالث ، و ...

وفجأة ، جذبه شيء ما من قدمه اليسرى ، وارتفع إلى أعلى فى سرعة ..

وهتفت (سلوى) فى يأس :

ـ لقد سقط فى الفخ ..

عقد (نور) حاجبيه فى توتر ، عندما رأى حبلا سميكا ، يلتف حول قدم (أكرم) ، ويجذبه بسرعة إلى أعلى ، مثل تلك الفخاخ البدائية ، التى يقيمها الصيادون فى الأدغال ..

وسقط مسدس (أكرم) ..

سقط وانزلق أرضا ، إلى ما تحت قدم (نور) بالضبط ..

وبسرعة ، أخفى (نور) المسدس بقدمه ، وتمنى لو أن أحدا لم ينتبه إليه ..

والعجيب أن هذا ما حدث بالفعل .

لقد اكتفت الأميرة بانتصارها ، وأطلقت ضحكة ظافرة ، وهى تقول :

ـ خسرت يا رجل .. لا أحد يربح معركته ، مع إمبراطورة (بارادايس) المقبلة .

ثم انعقد حاجباها ، وهى تضيف :

ـ ولماذا المقبلة ؟.. فلنجعلها الإمبراطورة الحالية .. سأجعلكم تشاهدون حفل التتويج بأنفسكم .

ورفعت ذراعيها ، هاتفة :

ـ هيا .. لقد أصدرت أوامرى بإقامة مراسم التتويج على الفور .

ثم برقت عيناها ، وهى تستطرد :

ـ وبعدها يبدأ العد التنازلى لمصير الأرض .

وأطلقت ضحكة مخيفة .

★ ★ ★



١٣ - الحفــل ..

كان أعجب حفل تتويج شهدته (بارادايس) ..

حفل بدأ قبل موعده بسبع ساعات كاملة ، وفى وجود ثلاثة من الأسرى الغرباء ، اثنان مقيدان إلى العمود الرئيسى ، فى منتصف القاعة ، والثالث يتدلّى من السقف ..

وهناك سبعة من العمالقة يحيطون بالعرش الإمبراطورى ..

وكان أعجب مشهد رآه (أكرم) و (نور) و (سلوى) ..

مئات من سكان (بارادايس) ملأوا القاعة ، وكلهم عبارة عن تكرار لهيئتين ..

الرجال كلهم يشبهون الجدّ الأعظم ..

والنساء كلهن يشبهن الجدّة العظمى ..

وفى لهجة آمرة ، قالت الأميرة ، وهى تجلس فوق العرش الإمبراطورى :

- فلتبدأ المراسم .

سرت همهمة عجيبة فى القاعة ، ثم تقدّم رقم (٣١٢٢) من العرش ، وقال :

- معذرة يا مولاتى ، ولكنك تخالفين القانون .

قالت فى صرامة :

- أى قانون ؟

أجابها فى حزم :

- قانون (بارادايس) ، الذى وضعه جدّنا الأعظم ، والذى لم يتبدّل منذ سبعة عشر ألفًا من السنين .

قالت فى لهجة شبه ساخرة :

- آن له إذن أن يتغيّر ويتطوّر .

أجابها الرجل :

- هذا من سلطة الحكماء العشرة وحدهم .

قالت فى غرور :

- كان هذا فيما مضى ، أما الآن فقد أصدرت أوامرى بحل مجلس الحكماء العشرة ، وأصبح هذا الأمر من سلطتى وحدى .

بدا الغضب على وجوه الجميع ، وقال الرجل :

- مولاتى .. معذرة ، ولكن ليس من حق الإمبراطورة أن ...

قاطعته فى حدة :

- كل شىء قانونى ، وسيتمّ التتويج الآن .

قال الرجل :

- ولكن ليس من المسموح وجود الطراز المقاتل ، أثناء التتويج ، ومن المحظور أيضًا وجود غرباء ، و ...

صاحت الأميرة فجأة :

- هيّا .

ومع صيحتها ، ارتفعت فوهات مسدسات العمالقة نحو قدمها ، الذين تراجعوا ، وشهقوا فى دهشة ورعب ، وهتف رقم (٣١٢٢) :

- ما هذا يا مولاتى ؟

أجابته فى صرامة .

- هذا هو قانون (بارادايس) الجديد يا (٣١٢٢) .. كل شىء سيتم وفقًا لإرادتى ، وإلا أطلقت عليكم جنودى .. أو ضغطت الزر الأصفر ،

فى مسند عرشى ، تحت يدى مباشرة .. أتعرف ما الذى يفعله الضغط على هذا الزر ؟.. إنه يشعل قنبلة نووية ، تكفى لنسف كل شىء داخل (بارادايس) ، وتدميرها عن آخرها ، وقتل كل من فيها ، دون أن يشعر العالم الخارجى بهذا .. جدرانها المصنوعة من (السوبر تيتانيوم) ستحجب الانفجار كله ، وينتهى تاريخنا ، دون أن يعلم به أحد .. ما رأيك يا (٣١٢٢) .. أى حل تفضّل ؟

شحبت وجوه الجميع ، وأطلق (أكرم) ضحكة ساخرة ، وهو معلّق من قدمه فى السقف ، وقال :

ـ هيا يا رجل .. اعترف بجبنك ، وأطع ديكتاتوركم المقبلة .

رمقه الجميع بنظرات مريرة ، ثم تراجع (٣١٢٢) ، وهو يقول :

ـ كما تأمر مولاتى .

تألّقت عينا الأميرة فى ظفر ، وقالت :

ـ والآن ، فلتبدأ مراسم التتويج .

تراجع الجميع ، وانقسموا إلى فريقين .. النساء فى الجانب الأيمن ، والرجال فى الجانب الأيسر ، ثم انبعثت موسيقى ناعمة من عدة أماكن بالقاعة ، وتحرّك جزء من الأرضية ، أمام العرش مباشرة ، وبعدها انفتح فى هدوء ، وبرز منه شكل اسطوانى شفّاف ، يعلوه إناء من المرمر ، استقرّت داخله الزهرة ..

الزهرة السوداء ..

وترددت شهقة عجيبة فى المكان ..

وتطلّعت العيون كلها إلى الزهرة فى انبهار ولهفة ..

ثم نهضت الأميرة ، واتجهت فى هدوء إلى الزهرة ، وانحنت تطبع عليها قبلة رقيقة هادئة ..

وهنا ترددت شهقة أخرى ..

شهقة عنيفة ..

وفى دهشة ، قال (نور) لـ (سلوى) :

ـ عجبًا !.. يبدو أنهم يقدسون تلك الزهرة السوداء !.. كيف يتفق هذا مع علومهم وحضارتهم القديمة ؟!.. أليس من الطبيعى أن يقود العلم إلى الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) .

غمغمت (سلوى) :

ـ هذا لو أخبرهم أحد بوجوده .. من الواضح أن جدّهم الأعظم هو الإله الوحيد الذى يعرفونه هنا .

تمتم (نور) :

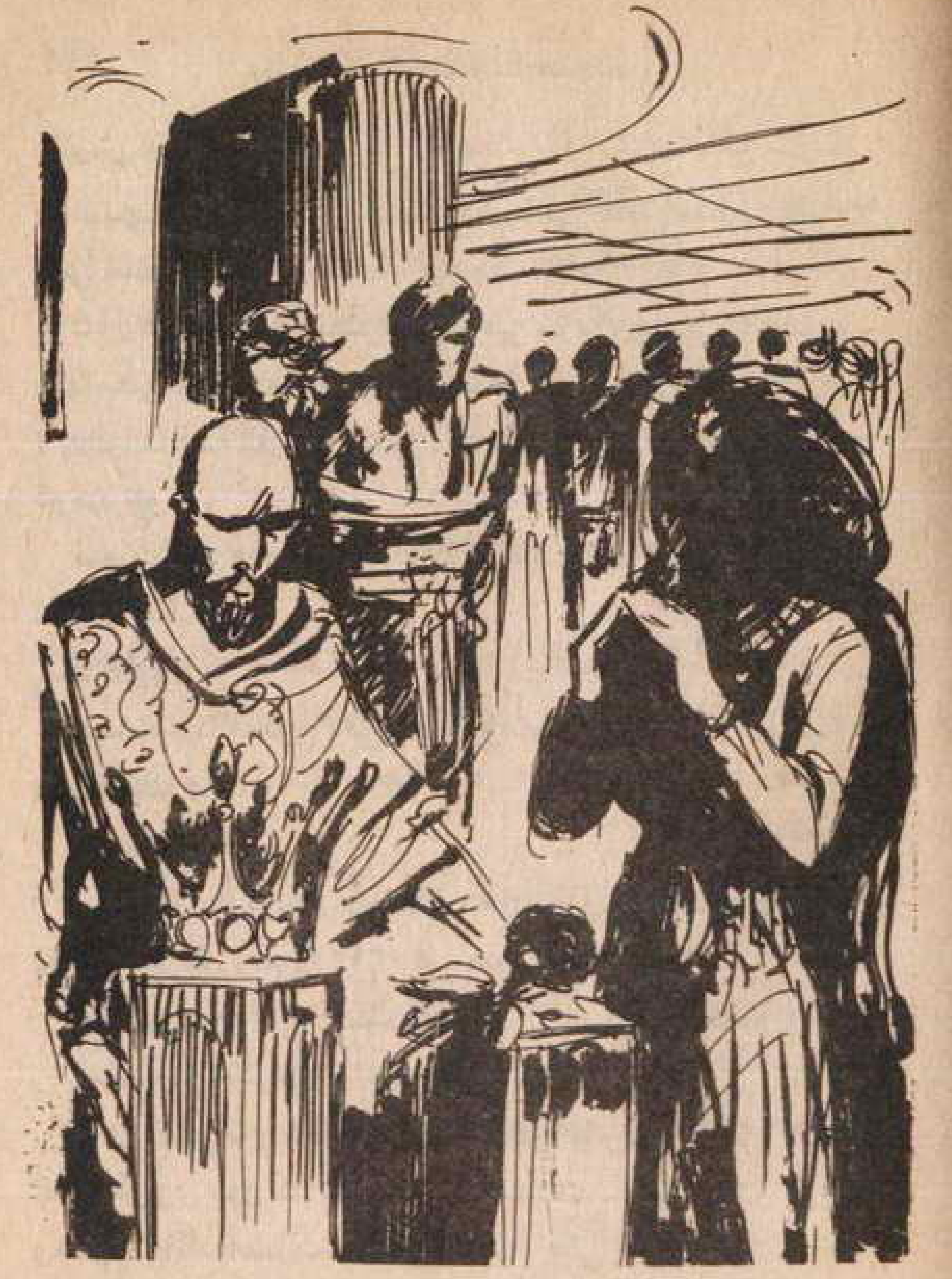
ـ يا إلهى !.. لقد أجرم هذا الجدّ فى حقهم كثيرًا .

كان يتابع ما يحدث فى اهتمام ، أثناء همسه مع (سلوى) ، ورأى الأميرة تعتدل فى اعتداد ، ثم ترفع يدها ، تشير إلى رقم (٣١٢٢) ، الذى اتجه إليها ، ووقف أمامها تمامًا ، وبينها تلك الزهرة ، وقالت الأميرة فى صوت مرتفع :

ـ والآن ، هل تقبلين تتويجى كإمبراطورة لـ (بارادايس) مدى الحياة ؟

انعقد حاجبا (نور) فى دهشة ؟ عندما رأى رقم (٣١٢٢) ينحنى ، ويلصق أذنه بالزهرة ، ثم يعتدل قائلًا :

ـ لقد وافقت .



فارتفعت اسطوانة أخرى ، تحمل على قمتها تاج من الذهب ..

وهنا سرت همهمة قوية فى المكان ، وهتفت (سلوى) :

ـ هذا الرجل مجنون .

أما (أكرم) ، فقد ظلّ يحدّق فى الزهرة لحظات ، قبل أن يهتف :

ـ مستحيل !

(نور) وحده ظلّ صامتًا ، يحدّق فى الزهرة بشدة ، فى حين ارتسمت ابتسامة ظافرة على وجه الأميرة ، وهى تقول :

ـ كل شىء رسمى الآن .

أومأ رقم (٣١٢٢) برأسه إيجابًا ، ثم حرّك يده ، فارتفعت اسطوانة أخرى ، تحمل على قمتها تاج من الذهب ، التقطه رقم (٣١٢٢) فى رفق ، ورفعه إلى أعلى ، فسرت الهمهمة مرة أخرى فى المكان ، ولكن الأميرة قالت فجأة فى حزم :

ـ انتظر .

توقّف الجميع فى دهشة وقلق ، وتصوّروا أنها ستلقى أمرًا ديكتاتوريًا آخر ، إلا أنهم فوجئوا بها تقول :

ـ لا يصحّ أن تتوّج الإمبراطورة ، فى جو مخالف للقانون .

تضاعفت دهشة الجميع ، وهم يتطلعون إليها ، وبدت لهم ابتسامتها غامضة ، وهى تقول :

ـ سيغادر حرّاس القاعة ، وكذلك الغرباء .. ولكن بعد تطبيق قانون آخر ، من قوانين (بارادايس) الخالدة .. قانون السرّية .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتمتم :

ـ لو أن هذا ما أخشاه ..

لم يتمّ عبارته ، فهتفت به (سلوى) ، فى صوت خافت :

ـ ما الذى تخشاه يا (نور) ؟

لم يجب سؤالها ، وتابع حديث الأميرة فى اهتمام مشوب بالقلق ، وهى تستطرد بنظرة ساخرة ، ولهجة متشفية :

ـ إن قانوننا الخالد يحتم الحفاظ على سرّية وجود (بارادايس) ، وهذا يعنى أنه ما دمنا لا نريد الاحتفاظ بهؤلاء الغرباء بيننا ، حتى لا يفعلوا ما فعله الغريب السابق ، الذى سرق زهرتنا وهرب ، فالحل الوحيد هو ...

صمتت عند هذه النقطة ، وأدارت عينيها إلى (نور) ، قبل أن تضيف :

ـ قتلهم .

اتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أيها الأوغاد .

أما شعب (بارادايس) المتماثل ، فقد تطلّع إلى بعضه البعض فى دهشة ، ثم قال رقم (٣١٢٢) فى حذر :

ـ فليكن يا مولاتى .. سنحيل أمرهم إلى مجلس الحكماء ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ هل تعانى من ضعف شديد فى الذاكرة يا رقم (٣١٢٢) ؟!.. ألم أصدر قرارى بحلّ هذا المجلس منذ لحظات .. القرار الآن قرارى وحدى .. ولقد أصدرت حكماً بالإعدام ، على الغرباء الثلاثة .

ثم ابتسمت فى تشفّ ، وهى تقول :

ـ وسنبدأ بالمرأة ، فأنا أحب أن يراها زوجها ، وهى تلقى مصرعها ، قبل أن نقتله .

قال (نور) فى حدة :

ـ كم يدهشنى أن يحتفظ عالمكم هذا باسم (الجنة) ، وعلى رأسه امرأة دموية إلى هذا الحدّ .

صاحت الأميرة فى صرامة :

ـ اخرس .

ثم التفتت إلى حرّاسها ، واستطردت :

ـ اقتلوا المرأة .

ارتجف جسد (سلوى) فى رعب ، عندما انفصل أحد العمالقة عن رفاقه ، واستلّ مسدسه ، واتجه إليها ، وهتفت مذعورة :

ـ (نور) .. النجدة يا (نور) .. إنهم سيقتلوننى .. النجدة .

وهتف رقم (٣١٢٢) :

ـ مولاتى .. لا يصح قتلهم هنا .

صاحت به فى غضب :

ـ إنها أوامرى .. لا تناقش الأوامر قط .

التقى حاجباه فى توتر شديد ، فى حين واصل العملاق طريقه ، حتى بلغ (سلوى) ، وصوّب مسدسه إليها ، فصرخت :

ـ النجدة يا (نور) .

ولكن (نور) كان عاجزًا مقيّدًا مثلها ، وراح (أكرم) يصرخ :

ـ أيها الأوغاد .. أيها القتلة .

وصاحت الأميرة :

ـ اقتلها .

وارتجفت القاعة كلها فى هلع ..

★ ★ ★

شهقت (مشيرة) ، وهى تعتدل بحركة مباغتة ، فسألها أحد مساعديها فى جذع :

ـ ماذا حدث ؟

تطلّعت إليه لحظة فى دهشة وذعر ، ثم لم تلبث أن هزّت رأسها فى قوة ، وقالت فى توتّر :

ـ لست أدرى .. يبدو أننى غفوت قليلًا ، و ... ، و ...

وازدردت لعابها ، قبل أن تقول :

ـ حسن .. إنه كابوس .

تطلّع مساعدوها إلى بعضهم البعض فى إشفاق ، ثم قال أحدهم :

ـ هذا لأنك تعملين طوال الليل يا سيّدتى .. هيّا .. عودى إلى منزلك ، وانعمى بقسط من النوم والراحة .. أنت فى مسيس الحاجة إليه .

أومأت برأسها موافقة ، ونهضت تلتقط حقيبتها مغمغمة :

ـ أنت على حق .

غادرت المبنى بسرعة ، واستقلّت سيارتها ، وانطلقت بها عائدة إلى منزلها ، وهناك ألقت جسدها المكدود على الفراش ، ولكنها لم تستطع إغلاق عينيها لحظة واحدة ..

لم يكن ذلك الكابوس يفارق ذهنها أبدًا ..

بل إنه يهاجمها ثانية ، فى إلحاح سخيف ، كلما أغلقت عينيها ..

كابوس رأت فيه (نور) و (أكرم) يسقطان فى فوهة بركان ملتهب ، وهى تشاهدهما يحترقان ، وتصرخ فى رعب شديد .

وخفق قلبها فى قوة ..

وراح عقلها يسأل ..

أين (أكرم) و (نور) الآن ؟..

هل يواجهان خطرًا داهمًا ؟..

قلبها يشعر بهذا ..

ويرتجف ..

ومن أعمق أعماق قلبها ، وجدت نفسها تهتف :

ـ انقذهما يا إلهى !.. انقذهما من أجلى .. من أجل العالم أجمع .

ثم انفجرت باكية ..

★ ★ ★

كان العملاق يصوّب مسدسه إلى (سلوى) ، التى تصرخ فى رعب ، عندما هتف (نور) فجأة ، وهو يرفع عينيه إلى (أكرم) :

ـ التقط يا (أكرم) .

قالها وهو يدفع ذلك المسدس ، الذى يخفيه بقدمه ، إلى الأمام ، ثم يركله بقوة ، وحنكة ، وذكاء ..

وأمام عيون الجميع ، طار المسدس عبر القاعة ، وشهقت الأميرة ، هاتفة فى حنق :

ـ المسدس !.. كيف نسيته ؟!

وفى مهارة يُحسد عليها ، التقط (أكرم) المسدس ، وهو معلق من قدمه ، ثم أطلق رصاصته فى سرعة ..

واخترقت الرصاصة رأس العملاق ، فى منتصف جبهته تمامًا ..

وسقط العملاق جثة هامدة ..

وانفجر جسده ..

وكان مشهدًا بشعًا ..

ولكن (أكرم) لم يتوقَّف ..

لقد أطلق رصاصة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وسقط ثلاثة عمالقة آخرون ، وانفجرت أجسادهم ، وراح شعب (بارادايس) يصرخ ، فى رعب وذعر واشمئزاز ، والدماء والأشلاء تتناثر فى كل مكان ..

وصرخت الأميرة فى العمالقة الثلاثة الباقون :

ـ اقتلوه .. انسفوه .

صوَّب العمالقة الثلاثة مسدساتهم نحو (أكرم) ، فصاح به (نور) :

ـ الزهرة يا (أكرم) .. الزهرة .

فهم (أكرم) الرسالة على الفور ، فأدار فوهة مسدسه إلى الزهرة السوداء ، وهنا شحب وجه الأميرة ، وصرخت :

ـ لا .. ليس الزهرة .

هتف بها (نور) :

ـ أوقفى عمالقتك ، أو يصيبها برصاصة .

صاحت بسرعة :

ـ أخفضوا أسلحتكم .. ابتعدوا .

أطاعها العمالقة الثلاثة على الفور ، وخفضوا أسلحتهم ، ثم ابتعدوا كالآليين ..

وكان الموقف عجيبًا بحق ..

لقد ران على القاعة صمت رهيب ، وارتسم ذعر كبير فى عينى الأميرة ، والجميع يتطلَّعون فى خوف وتوجّس إلى (أكرم) ، حتى قطع (نور) حبل الصمت ، هاتفا :

ـ هيا .. حلوا قيودنا بسرعة ، وأنزلوا (أكرم) .

أشارت الأميرة بتنفيذ أوامره ، فأسرع البعض يحلون وثاق (نور) و (سلوى) ، التى انفجرت باكية ، غير مصدِّقة أنها نجت ، فاحتواها (نور) بين ذراعيه ، وسمع (أكرم) يهتف :

ـ لا وقت الآن للعواطف .. التقط المسدس ، حتى يمكننى الهبوط .

التفت (نور) إليه ، فألقى إليه المسدس ، والتقطه (نور) فى سرعة ، وصوّبه بدوره إلى الزهرة السوداء ، فهتفت الأميرة فى هلع :

ـ لا .. أرجوك .

بدت الحيرة على وجه (نور) ، ولكنه انتظر حتى أنزلوا (أكرم) ، وقال فى صرامة :

ـ مرى رجالك بتسليم أسلحتهم ، والانصراف من هنا .

صاحت الأميرة :

- ألقوا أسلحتكم ، وانصرفوا من هنا .

أطاعها العمالقة الثلاثة دون مناقشة ، وغادروا القاعة كلها ، فأسرع (أكرم) يلتقط أحد أسلحتهم ، قائلا :

- لقد رأيت كيف يعمل هذا الشيء .

أما (نور) ، فقال وهو ينظر إلى عينى الأميرة ، اللتين امتلأتا بالذعر والخوف :

- ما سر هذه الزهرة السوداء ؟.. لماذا تولونها كل هذا الاهتمام ؟

قالت بلهجة أقرب إلى الضراعة ، على نحو أدهشه :

- اتركنا .. أرجوك .. انصرفوا جميعا ، ولكن اتركوا الزهرة .

سألها فى دهشة :

- هل تمثل تلك الزهرة رمزًا مقدسًا إلى هذا الحد ؟

ارتجفت شفتاها فى توتر ، فاندفع رقم (٣١٢٢) ، قائلًا :

- هذه الزهرة ليست رمزًا .. إنها ..

صرخت الأميرة تقاطعه :

- لا .. لا ..

فجرَ هذا فضول (نور) أكثر وأكثر ، فجذب إبرة المسدس ، وهو يقول فى صرامة :

- سأعرف سرَ هذه الزهرة ، أو أطلق عليها النار .

صرخت الأميرة :

- لا .. لا تفعل .. هذه الزهرة هى .. هى ..

وخفضت عينيها ، وهى تستطرد فى لهجة أقرب إلى البكاء :

- هى توءمى .

واتسعت عيون (نور) ، و (سلوى) ، و (أكرم) فى ذهول ..

★ ★ ★

« بشرية ؟! .. »

صرخ الدكتور (حجازى) بالكلمة فى ذهول تام ، فأجابه القائد الأعلى فى صوت لا يقل عنه دهشة وحيرة :

- نعم .. هذه الزهرة ليست كما تبدو .. إنها نصف بشرية .. مازلت أعجز عن تصديق هذا ، ولكن الدكتور (ناظم) أكده لى ، بما لا يدع مجالاً للشك .. لقد حار علماء النبات طويلًا ، فى تحليل جينات هذه الزهرة ، فقد كانت هناك جينات نباتية معروفة ، إلى جانب جينات مجهولة ، عجزوا عن تحديد هويتها ، طويلًا ، فما كان منهم إلا أن أحالوا الأمر برمته إلى الكمبيوتر ، الذى درس كل ما لديه ، ثم أعلن المفاجأة المذهلة .. تلك الجينات المتبقية هى جينات بشرية متحوِّرة .. هذه الزهرة السوداء تحوى جينات نباتية وبشرية ، فى آن واحد .. إنها ليست أبدًا زهرة عادية ، بل هى مسخ نصف بشرى .. والصفات شبه البشرية فيها تتركّز فى قدرتها على السمع والكلام والفهم ..

ظلَّ الدكتور (حجازى) يحدّق فى القائد الأعلى لحظات ، ثم هزَّ رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض عنها حيرته ، قبل أن يهتف :

- ولكن هذا عبث .. عبث سخيف وخطير .. نفس ما حذر منه بعض العلماء ، عندما نشأ علم هندسة الوراثة ، فى نهايات الستينات ،

وبدايات السبعينات .. أن يستغلّ البعض هذا العلم بشكل عبثى ، لايحقّق فائدة للمجتمع .. وهذا ما نراه أمامنا الآن .. لماذا يفعل شخص ما هذا ؟ .. لماذا يمزج جينات نباتية بأخرى بشرية ؟ .. وكيف ؟! .. أية تكنولوجيا استخدم ، حتى يفعل هذا ؟.. وأين ؟

قال القائد الأعلى :

ـ أظن أننا لن نعرف الأجوبة الصحيحة قط ، إلا إذا عاد (نور) و (أكرم) سالمين .

شرد الدكتور (حجازى) ببصره ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. إذا عادا سالمين .

إذا ..

★ ★ ★

حدّق (نور) و (سلوى) و (أكرم) فى وجه الأميرة فى دهشة ، ثم هتف الأخير :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. كيف تكون هذه الزهرة توءمًا لك ؟!

بدا على وجهها توتر لا حدود له ، فأجاب رقم (٣١٢٢) :

ـ إنه تقليد قديم .. أن يتمّ إنتاج نسختين متماثلتين من الإمبراطورة المنتظمة ، كنوع من الاحتياط ، حتى تصعد إحداهما إلى العرش ، لو أصيبت الثانية بمكروه .. ومنذ ستة وعشرين عامًا ، عندما بدأت عملية الإخصاب ، لإنتاج نسختى الإمبراطورة ، حدث خطأ بالغ الخطورة ، فنحن نهتم ، ومنذ نشأة (بارادايس) ، بإنتاج النباتات ، لأن حياتنا فى مكان مغلق لم تسمح لنا بتربية حيوانات وطيور للطعام ؛ لذا فقد تركّزت كل جهودنا على إنتاج النباتات ، التى

أصبحت غذاءنا الرئيسى ، وقادنا هذا بالطبع إلى العديد من التجارب الوراثية ؛ لإنتاج نباتات يمكنها أن تتكيّف مع ظروفنا وطبيعة وجودنا .. ولقد حدث ، بسبب خطأ تقنى ، أن امتزجت بعض الجينات النباتية ، بجينات النسخة الإمبراطورية الأولى ، فأتى الناتج مذهلًا للجميع .. وهو ما ترونه أمامكم الآن .. زهرة سوداء ، تمتلك صفات نباتية ، وصفات شبه بشرية .. زهرة يمكنها أن تحيا وتترعرع فى أصعب الظروف ، كما يمكنها أن تفهم حديث البشر ، وتسمعه ، وتتكلّمه ، ولكن بصوت خافت للغاية ، تبعًا لحجمها ، وحجم خلاياها شبه البشرية .. وكانت المشكلة الفعلية هى أن هذه الزهرة هى النسخة الإمبراطورية الأولى ، أما الأميرة البشرية ، فهى النسخة الإمبراطورية الثانية .. وحتى تتبوّأ الأميرة العرش ، كان من الضرورى أن تتنازل لها الزهرة عن حقها فى العرش ، وهذا ما كان .

كانت التفاصيل مذهلة وعجيبة ، وغير متوقّعة ، وهتفت (سلوى) :

ـ ولكن لماذا تخشى الأميرة على الزهرة إلى هذا الحد ؟. لست أظنها تحب توءمها ، إلى الحد الذى تستسلم فيه لنا هكذا من أجله ، فلو أن الزهرة ماتت ، لفازت الأميرة بالعرش مباشرة ، دون الحاجة إلى التنازلات .

ترقرقت الدموع فى عينى الأميرة ، فى حين قال (٣١٢٢) :

ـ هنا تكمن المشكلة الحقيقية ، فلسبب مجهول ، لم يتوصّل إليه علماؤنا بعد ، نشأت علاقة عجيبة بين الزهرة والأميرة .. فلو أسأت إلى إحداهما تأوّهت الأخرى فى ألم .. لا أحد يدرى ما الذى يربط

بينهما ، ولكنَّ الذى يثق فيه العلماء ، هو أن حياة الأميرة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة الزهرة .

هتف (أكرم) :

- لهذا قاتلت الأميرة لتسترد توءمها .

صاحت الأميرة فجأة فى حنق :

- هل سمعتم كل شىء ؟!.. هيا .. ارحلوا إذن .. ارحلوا واتركونا لحالنا .

ثم انهارت أرضًا ، وراحت تبكى فى مرارة ..

وفجأة ، هبَّت الأميرة واقفة ، وهى تمسك بيدها مسدس أحد العمالقة ، التقطته من الأرض بتلك المناورة ، وصرخت فى وحشية :

- خسرتم أيها السادة ..

وضغطت زناد المسدس ..

وانطلقت الصاعقة .

★ ★ ★



٤ - جحيم (باراديس) ..

لم ينتظر (نور) ثانية واحدة ..

ولا حتى جزء من الثانية ..

لقد رأى الأميرة تصوِّب إليهم مسدسها ، فاندفع نحوها ، وأمسك معصمها ، ورفع يدها كلها إلى أعلى ..

انطلقت الصاعقة ..

وانطلقت لتصيب سقف القاعة ، وتنسف جزءًا منه فى عنف ، فانطلقت صرخات الجميع ، وراحوا يعدون فى هرج ومرج ، ويتزاحمون للخروج من القاعة ، فى حين تراجع رقم (٣١٢٢) مبهوتًا ، وصرخت الأميرة فى شراسة :

- سأقتلكم .. سأقتلكم كلكم .

حاولت أن تطلق صاعقة أخرى ، ولكن (نور) دفعها فى عنف إلى الخلف ، هاتفًا :

- كفى .. إنك تحطمين شعبك كله ..

تراجعت فى وحشية ، وارتطمت بمسند عرشها ، و ...

وضغطت الزر ..

وشحب وجهها فى هلع ، وهى تصرخ :

- ماذا فعلت ؟!.. ماذا فعلت ؟!.. لقد أشعلت الفتيل .. سينفجر كل شىء خلال دقيقتين فحسب .

صاح (أكرم) :

- يا للمجنونة !

أما رقم (٣١٢٢) ، فقد هتف مرتاعًا :

ـ أرأيت ماذا فعلت ؟.. أرأيت .. لقد أفسدت حلم (باراديس) كله .. حطمت كيانًا بقى أكثر من مائة وسبعين قرنًا من الزمان .. ماذا فعلت أيتها الحمقاء ؟

صاحت به :

ـ ابتعد عنى .. غباؤكم هو الذى فعل هذا .

صرخ ، وهو يمسك بها :

ـ بل هى أنانيتك ، وهو جنونك .. من الواضح أن الخلل الجينى لم يصب الزهرة وحدها .. لقد أصابك أيضًا ، فأصلك لم يكن كذلك .

صاحت فى ثورة :

ـ قلت لك ابتعد عنى .

ثم صوبت مسدسها إلى صدره ، وأطلقت الصاعقة ..

وقفز جسد رقم (٣١٢٢) المسكين فى الهواء ، وهو يطلق صرخة هائلة رهيبة ، ثم سقط جثة هامدة محترقة ..

وهنا ..

هنا فقط ، انتبهت الأميرة إلى أن (نور) و (سلوى) و (أكرم) قد اختفوا ..

اختفوا تمامًا ..

★ ★ ★

انطلق (نور) و (سلوى) و (أكرم) يعدون بكل قوتهم ، عبر ذلك الممر النظيف ، الذى يختفى بباب سرى ، خلف العرش الإمبراطورى ، وهتفت (سلوى) :

ـ أليس من النذالة أن نسعى للفرار ، ونترك الجميع يواجهون مصيرهم ؟

صاح (نور) :

ـ لقد غادروا القاعة جميعًا ، قبل أن تضغط الأميرة الزر ، ولم يبق سواها ، وسوى (٣١٢٢) ، وسيصفيان حسابهما معًا .

وقال (أكرم) :

ـ ثم أنه لا وقت لإنقاذ الجميع .

لزمت الصمت ، وراحت تلهث ، وهى تعدو بكل قوتها عبر الممر ، حتى بلغوا سلمًا مرتفعًا ، فهتف (أكرم) :

ـ بقيت دقيقة واحدة ، وهذا السلم مرتفع للغاية .

قال (نور) :

ـ دعنا لا نضيع الوقت إذن .

بدأوا التسلق بأقصى سرعة ، ولهثت أنفاسهم ، دون أن تلوح لهم نهاية واضحة ، حتى هتفت (سلوى) :

ـ الى أين يقود هذا السلم ؟.. إلى السماء مباشرة ؟

قال (أكرم) :

ـ بل إلى الأرض ، فـ (باراديس) هذه تقبع على عمق مائتى متر ، من سطح الأرض .

قال (نور) :

ـ عظيم .. هذا سيقلل كثيرًا من أثر الانفجار على السطح ، بعد اضافة ذلك (السوبر تيتانيوم) ، الذى يتحدثون عنه ..

كاد الوهن يصيب عضلاتهم ، قبل أن يبلغوا منطقة مستوية ، فقفزوا فوقها ، وقال (أكرم) فى توتر :

ـ أمامنا عشرون ثانية فحسب ، قبل الانفجار .

سأله (نور) :

ـ أين نتجه إذن ؟!

أجابه (أكرم) :

ـ إننا أمام المدخل مباشرة .. المهم أن تعرف كيف تفتحه .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ ماذا تعنى ؟.. أتجهل كيف نخرج من هنا ؟

أجابها متوترًا :

ـ هذا صحيح .. لقد دخلت ، ولكننى أجهل كيف أخرج .

قال (نور) ، وهو يحاول السيطرة على أعصابه :

ـ فليكن .. سنجد الوسيلة بإذن الله .

تطلّع (أكرم) إلى ساعته ، وقال :

ـ المهم أن تجدها قبل عشر ثوان .

راحت يدا (نور) تبحثان بسرعة ، وتجوسان الجدار أمامه ، والوقت يمضى بسرعة مذهلة ، حتى هتف فجأة :

ـ هاهوذا .

وضغط جزءًا من الحائط ، فتحرّك الجدار السميك كلّه فى بطء ، كاشفًا فجوة واسعة ، دفع (نور) (سلوى) عبرها ، و (أكرم) يهتف :

ـ خمس ثوان .. أربع .. ثلاث .

دفعه (نور) خارج المكان بدوره ، ثم قفز خلفه ، ودفع الباب ليغلقه ، و (أكرم) يقول :

ـ بقيت ثانية واحدة .

وأغلق الباب ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجار قنبلة نووية عنيفة ، بدا مجرّد انفجار مكتوم على السطح ، وارتجاج محدود ، بسبب غلاف (السوبر تيتانيوم) ..

ومع الانفجار ، انفجرت (سلوى) باكية ، وهى تهتف :

ـ يا للمساكين !.. لقد لقوا حتفهم جميعًا ، بسبب تلك المجنونة .

أتاها صوت الأميرة فجأة ، وهى تقول فى ثورة :

ـ بل بسببكم أنتم .

تطلّع إليها الجميع فى دهشة ، وهتف (أكرم) :

ـ كيف نجوت ؟

أجابته غاضبة :

ـ هناك أربع مداخل سرية ، داخل قاعة العرش .

ثم أضافت وهى تصوّب إليهم مسدسها الصاعق :

ـ ألقوا أسلحتكم ، وتقدّموا أمامى ، إلى خارج الكهف

ألقوا أسلحتهم وساروا أمامها ، وهى تحمل الزهرة ، وتضمّها إلى صدرها فى حرص ، وقال (أكرم) :

ـ هل ترفضين قتلنا داخل الكهف ، خشية تلويثه ؟

قالت فى حنق :

ـ لولا هروب أحد الحمقى ، بعد عام واحد من حياة أجدادنا الأوائل

فى (بارادايس) ، لما وجدتم هذه الرسوم ، ولما مثّلت لكم الكهوف أية أهمية .. لقد هرب ذلك الغبى ، وسجّل كل هذا على الجدران ، ثم لقى حتفه بسبب التلوّث .

خرجوا من الكهف ، واستقبلتهم أشعة الشمس ، فأغلقت الأميرة عينيها ، وهى تقول فى حنق :

ـ اللعنة !.. كم أكره هذا الشىء المضىء فى عالمكم ؟

تحرّك (أكرم) بغتة ، مع إغلاقها لعينيها ، وهتف :

ـ هذا أفضل .

قالها وقفز يركل يدها الممسكة بالزهرة ..

وصرخت الأميرة فى ذعر وألم ..

وقفزت الزهرة من يدها ..

وسقطت على الأرض ..

وتأوّهت ..

تأوّهت الزهرة ، وتأوّهت الأميرة ..

ثم صرخت الأميرة ..

ـ أيها الغبى .

وأدارت فوهة مسدسها فى سرعة نحو (أكرم) ..

وأطلقته ..

وقفز (أكرم) ليتفادى الصاعقة ، ولكنها انفجرت تحت قدميه مباشرة ، ودفعت جسده فى قوة إلى الخلف ..

وصرخت (سلوى) ..

صرخت عندما رأت جسد (أكرم) يهوى من فوق المرتفعات ، ويرتطم بالصخور ، من ارتفاع ستة أمتار ، ثم يتدحرج جسده ، ويستقرّ ساكنًا بين الصخور ، فوق حافة قريبة ..

وصاح (نور) فى غضب ، وهو ينقض على الأميرة :

ـ أيتها القاتلة .

أمسك يدها فى قوة ، ولكنها قاتلته فى وحشية وشراسة ، وراحت تصرخ :

ـ لقد حطّمتم شعبى .. حطّمتم أحلامى وحياتى كلها .

صاح بها (نور) :

ـ أنت حطّمت كل هذا .. أنت فعلتها .

ولكنها تملّصت منه بحركة سريعة ، وأطلقت ضحكة جنونية عالية ، وهى تهتف :

ـ سأقتلك .. سأقتلك .

وألصقت فوهة مسدسها بعنقه ، و ...

وفجأة أطلقت صرخة رهيبة ، وجحظت عيناها فى قوة ، وانتفضت ، ثم أدارت عينيها إلى (سلوى) وحدّقت فى الزهرة السوداء ، التى سحقتها قدم هذه الأخيرة . وغمغمت :

ـ أنت فعلتها .

ثم سقطت جثة هامدة ..

وارتجف جسد (سلوى) كله ، و (نور) ينهض محدّقًا فيها بدهشة ، وقالت بصوت باك :

ـ لم يكن أمامى سوى هذا .. كانت ستقتلك .

احتواها بين ذراعيه ، وقال فى حنان :

ـ نعم يا عزيزتى .. لم يكن أمامك سوى هذا .

بكت فى مرارة ، وهى تقول :

ـ ولكن الزهرة صرخت .. صرخت يا (نور) .

قال فى ألم :

ـ أعلم هذا .. لقد سمعتها .

ظهرت طائرات الهليوكوبتر الجزائرية فى هذه اللحظة ، وحلقت فى المكان ، وأسرع (نور) إلى حيث سقط (أكرم) ..

وأشرقت الشمس من بعيد .





١٥ ـ الختــام ..

بكت (مشيرة) فى حرارة ومرارة ، وهى تجلس إلى جوار (أكرم) ، فى حجرة العناية المركَّزة فى المستشفى ، وسمعت القائد الأعلى من الخارج ، وهو يقول لـ (نور) :

ـ لقد تفهَّمت السلطات الجزائرية الموقف بسرعة ، واتفقت معنا فى ضرورة كتمان ما حدث ، حتى لا نسير خوفًا شعبيًا .. المهم أن كل شىء قد انتهى على ما يرام ، فيما عدا ما أصاب (أكرم) .

أجابه (نور) :

ـ الأطباء يؤكدون أنه سيشفى بإذن الله ، ولكنها مسألة وقت .

غمغم القائد الأعلى :

ـ أتعشم هذا .

ثم دخل إلى الحجرة ، وصافح (مشيرة) ، قائلًا :

ـ تجلَّدى يا سيِّدتى .. سيسير كل شىء على ما يرام بإذن الله .

وألقى نظرة على (أكرم) ، قبل أن يضيف :

ـ إنه بطل حقيقى .

قالها وانصرف فى سرعة ، فرفعت (مشيرة) عينيها الدامعتين إلى (نور) ، وسألته :

ـ هل سيشفى حقًا ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ بإذن الله .

ثم سألها :

ـ هل تذهبين إلى العمل الآن ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ كلا .. انصرف أنت يا (نور) ، وسأبقى أنا هنا .

تطلّع (نور) إلى (أكرم) لحظات ، ثم قال :

ـ أخبريه عندما يستعيد وعيه أننى أحترمه كثيرًا ، على الرغم من اختلافنا الجوهرى ، فى أمر إزهاق الأرواح البشرية .. وأنا أقولها بصدق .. أنا أحترمه كثيرًا ..

أومأت برأسها ، متمتمة :

ـ سأخبره بإذن الله .

غادرها (نور) ، وبقيت هى إلى جوار (أكرم) ، فتركت لدموعها العنان ، وهى تقول فى صوت أجش مبحوح :

ـ ساعده يا إلهى !.. ساعده .. إننى أحبه ، ولا أستطيع العيش دونه .. أعده إلىّ ، وسأعمل على إسعاده ، ما تبقّى لى من العمر .

انتفض جسدها كله ، عندما أتاها صوته الواهن ، وهو يقول :

ـ هل يمكننا تسجيل هذا الوعد ؟

شهقت فى سعادة ، وهتفت :

ـ (أكرم) .. حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

بكت بين ذراعيه ، فتحسّس شعرها فى حنان ، وقال :

ـ كم يسعدنى أن يكون وجهك الجميل هو أوّل ما أراه ، عندما أستعيد وعيى .. لولا تلك الآلام ، التى أشعر بها ، لقلت أننى أسعد رجل فى العالم .

قالت فى سعادة :

ـ ستشفى هذه الآلام يومًا وتزول ، ولكن حبى لك سيبقى أبدًا .

ابتسم قائلًا :

ـ ستكونين زهرة حياتى ، و ...

قاطعته بوضع أناملها على شفتيه ، وهمست :

ـ لا .. لا أريد سماع اسم أية زهرة ، لأسبوع على الأقل .

ضحك فى مرح ، وعاد يتطلّع فى سعادة إلى عينيها السوداويين ، ووجد نفسه ، على الرغم منه ، يقفز بذاكرته إلى أكثر الأشياء التى رآها فى حياته سوادًا ..

إلى الزهرة ..

زهرة (بارادايس) السوداء .

* * *

[تمت بحمد الله]